علم المعاني في الحديث النبوي الشريف

د. أحمد بن يحيى بن أحمد الكندي*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/١١/٢١م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٤/١٥م

ملخص

هذا البحث محاولة لدراسة الحديث النبوي في ضوء علم المعاني؛ اشتمل على مقدمات تتعلق بمفهوم الحديث وعناية العلماء ببلاغة الحديث النبوي، ثم مباحث التقديم والتأخير في الحديث النبوي، والحذف والذكر في الحديث النبوي، والتعريف والتنكير في الحديث النبوي، والقصر في الحديث النبوي، والفصل والوصل في الحديث النبوي، وقد ضربت ضمن المباحث نماذج الأحاديث مع تحليل الدلالات البيانية فيها؛ **ويؤكد البحث على عظمة الرسول ﷺ وأنه أفصح من نطق بالضاد، ومن فصاحته يستقي الفصحاء؛ لا سيما أن كلامه تضمن من المعاني** وحسن استعمال الألفاظ والدلالات ما لم يعهد من قبله؛ ومن كان شأنه كذلك لا بد أن يعد مصدرا لغويا ورافدا علميا خصبا؛ وكشفت النصوص المستدل بها عن دلالات بيانية متعددة وأغراض دقيقة، وتعانقت هذه الدلالات مع الدلالات العامة للحديث؛ لتعطي الخطاب النبوي بعدا راقيا في فن الخطاب، وكذلك أعطت هذه الدلالات النص فيضا من المعاني، وقوت تأثيره وأبانت عن حس بياني مرهف لصاحب الفصاحة ﷺ، **وهذه الدلالات المستنبطة من الأحاديث الشريفة تكشف عن البيان البيّن الكامن في الألفاظ النبوية الشريفة؛ لأنه وحي غير متلو، وكل من يرغب في المعاني الراقية يجد بغيته في هذه الأحاديث النبوية.**

Abstract

I attempt to study in this paper the rhetorics of prophetical sayings in the light of semantics. This study comprises introductions to the concepts of prophetical sayings, It based on previous studies about rhetorical structure in prophetical saying. In addition, it discusses other related concepts such as: word order, omission, insertion, definiteness vs. indefiniteness, styles of exception, and junction vs. disjunction. I stated some examples of prophetical sayings in context of analysing its rhetorical values. It has been assured at this study that the prophet has surpassed eloquent Arabs in that he invented new styles which has not been experienced before him. Thus, his sayings have been considered as trustful sources of language and art of speech. The prophetical texts adduced here reveals varieties of acute rhetorical denotations, which in turn collaborates with general meanings of prophetical sayings. This collaboration gives the sayings of the prophet its powerful influence and its acute rhetorical sense. Such study assures that there is a need to associates the scholarship of classical Arabic rhetorics and its disciplines with the study of Hadith.At the end, this target will impose further extensive investigations.

* أستاذ مساعد، قسم العلوم الإسلامية، جامعة السلطان قابوس.

المقدمة.

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين، وبعد: فهذه ورقة بحثية تسعى؛ لفهم بعض ما أكرم الله به نبيه؛ إذ جعله أفصح الخلق لسانا وسنته خير مورد هداية وبيانا.

مشكلة الدراسة.

لا ريب أن عناية الدارسين لعلوم البلاغة والمعاني يلمسون سعة التدليل بالآيات القرآنية أو الشواهد الشعرية؛ ولكن هناك ضمورا في الاستشهاد بالأحاديث النبوية رغم وفرة وفيوض دلالات نصوص هذه الأحاديث وحاجة علم المعاني ليرفد بهذه الأحاديث. وتأتي هذه الدراسة مشاركة متواضعة في هذا الجانب وتسعى لتجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما أهم أغراض ودلالات التقديم أو التأخير في الحديث النبوي الشريف؟
٢. ما أهم الآثار الدلالية للحذف والذكر في الحديث النبوي؟
٣. ما أثر توظيف التعريف أو التنكير في معاني الحديث النبوي؟
٤. ما أثر القصر والفصل والوصل في معاني الحديث النبوي؟

أهمية الدراسة.

لا ريب أن مثل هذه الدراسات ذات أهمية بالغة، وهي مزدوجة الفائدة على فن الحديث وبيانه، وعلوم اللغة ومعانيها، وكذلك فهي من الدراسات التي تحقق الربط بين العلوم على تنوعها بما يكسب الباحثين تنوعا معرفيا ويعزز التواصل بين فنون العلم المختلفة، وعسى أن تكون هذه الورقة وفقت ولو في إبراز جانب مما عنيت به، والله نسأل التوفيق والسداد، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

هدف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة وتعنى بإبراز جانب من عظمة البيان النبوي مستفيدة بما قعده علماء المعاني، وموظفة بعض ما قالوه في فهم نصوص الأحاديث النبوية الشريفة وفق ما يتيحه المقام في بحث وجبز.

منهجية الدراسة.

تجمع هذه الدراسة بين مناهج الاستقراء والتحليل وبعض المقارنة وفق محدودية سعة البحث، واستعمال القواعد البلاغية في علم المعاني وتوظيفها في فهم الأحاديث؛ وقد عرضت مع القواعد المذكورة عددا من الشواهد تكشف بجلاء حسن توظيف هذا الجانب البياني في أحاديث أفصح الفصحاء، وسيد البلغاء ﷺ.

مخطط الدراسة.

قسمت الورقة إلى مباحث، فبدأت بالتمهيد ببيان معنى الحديث وعناية العلماء ببلاغة الحديث النبوي، ثم تتابعت المباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التقديم والتأخير في الحديث النبوي.
المبحث الثاني: الحذف والذكر في الحديث النبوي.
المبحث الثالث: التعريف والتنكير في الحديث النبوي.
المبحث الرابع: القصر في الحديث النبوي.
المبحث الخامس: الفصل والوصل في الحديث النبوي.
ثم الخاتمة.

التمهيد: بيان معنى الحديث وعناية العلماء ببلاغة الحديث النبوي.

أولاً: معنى الحديث: الحديث لغة: الجديد وهو نقيض القديم، كما يراد به الخبر قليله أو كثيره(١)، ومن شواهد ذلك قول الرسول ﷺ: (يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرُ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَه قَدِيمَهُ وَحَدِيثَه ..."(٢).

ويجُمع حديث على أحاديث كقطيع وأقاطيع جمعاً شاذاً على غير قياس، كما أنّ مصدر حدّث هو التحديث، أما الحديث فليس بمصدر، وذهب الزمخشري إلى أنّ الأحاديث اسم جمع(٣)، وذهب بعضهم إلى أنّ الأحاديث ليس اسم جمع، بل هو جمع تكسير لحديث على غير قياس كأباطيل(٤)، واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن، بل سميت هذه الكلمات وهذه العبارات أحاديث كما قال الله تعالى: **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾**[الطور: ٣٤]؛ وذلك لأن الكلمات تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية، وكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه؛ أو لِمَا يَحْدُثُ حالَ سماعها في القلوب من العلوم والمعاني(٥).

وقد اختُلف في واحد أحاديث فذهب الفراء إلى أن واحد الأحاديث أحدوثة ثم جعلوها جمعاً للأحاديث، وتعقّبَه ابن بري بقوله: "ليس الأمر كما زعم الفراء؛ لأن الأحدوثة بمعنى الأعجوبة، يقال: قد صار فلان أحدوثة، فأما أحاديث النبي ﷺ فلا يكون واحدها إلا حديثاً، ولا يكون أحدوثة "(٦)، وفي حقيقة الأمر ورد في كلام العرب قولهم: "صار فلان أحدوثة وصار حديثا؛ إذا ضرب به المثل وأكثرت فيه الأحاديث"(٧)، ولفتة الفراء لا تخلو من حسن نظر خاصة وأن لها ما يمكن عده شاهدا وهو قول الشاعر:

ولا تُصْبِحوا أُحْدُوثَةً مثلَ قائلٍ بـه يَضْرِبُ الأمثالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ

فقول الشاعر يشير إلى ترادف المثل والأحدوثة(٨)، وهذا البيت يمكن جعله شاهداً لما تقدم ذكره من ترادف الحديث والخبر؛ وذلك لأن معنى الإخبار وارد في الأحدوثة، وممن أشار إلى هذا الترادف أبو البقاء في قوله في معنى الحديث: "اسم من التحديث وهو الإخبار "(٩).

وورود لفظ الحديث بمعنى الخبر متكرر في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: **﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾**[البروج: ١٧] وقوله ﷻ: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾**[الزمر: ٢٣] يقول الطبري معلقاً على هذه الآية: "أرادوا الحديث فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلّهم على أحسن القصص"(١٠).

وأما معنى الحديث الاصطلاحي: فهو عين تعريف السنة سواء من عرفها بأنها: "ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول، أو فعل، أو تقرير"(١١)، وهذا تعريف الأصوليين، أو من عرفها بأنها: "ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير،

أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أم بعدها"[١٢].

ثانياً: عناية العلماء ببلاغة الحديث النبوي.

كان النبي ﷺ سيد الفصحاء الذي شهد له الكل بالفصاحة وحسن الخطاب، وقد أخرج البيهقي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه في يوم ظهرت فيه سحابة: (كَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا؟» قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَرَاكُمَهَا. قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا؟» قَالُوا: مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ تَمَكُّنَهَا. قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا؟» قَالُوا: مَا أَحْسَنَهُ وَأَشَدَّ سَوَادَهُ. قَالَ: «كَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا اسْتَدَارَتْ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا أَحْسَنَهَا وَأَشَدَّ اسْتِدَارَتَهَا. قَالَ: «فَكَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا، أَخَفْوًا أَمْ وَمِيضًا، أَمْ يَشُقُّ شَقًّا؟» قَالَ: بَلْ يَشُقُّ شَقًّا. قَالَ: «الْحَيَا» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْصَحَكَ، أَوْ مَا رَأَيْنَا مَنْ هُوَ أَعْرَبُ مِنْكَ قَالَ: «حَقَّ لِي، وَإِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[١٣]، ولاريب أنه أفصح العرب وهو القائل: (أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْش، وَاسْتُرْضِعْت في بني سعد)[١٤].

ومن كلام النبي ﷺ الذي لم يقله أو يسمع به فصحاء العرب قوله يوم حنين: (هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيس)[١٥]، وقد استعمل النبي ﷺ ألفاظا لم يستعملها أحد قبله كمفردة "السكين" بما يؤكد عظمة بيانه، فقد قال أبو هُريرةَ عقب سماعه قول النبي ﷺ في دعوى المرأتين المختصمتين في طفل: "ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا المُدْيَةُ[١٦].

لقد أثارت هذه الفصاحة اهتمام الدارسين من القديم إلى الحديث؛ فوجدنا عناية منهم بهذه البلاغة؛ ويُعَدُّ الجاحظ من أوائل من عنوا بالبلاغة النبوية، واستشهد بجملة أحاديث مبينا فضل الفصاحة فيها؛ بل ووازن تشبيهات النبي ﷺ وبلاغته ببعض كبار البلغاء؛ ليتبين البون الشاسع بين الكلامين وقدم لذلك في موضع بعبارة جميلة في وصفه بلاغة النبي ﷺ ومنه "وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف ... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، ... لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ"[١٧]، ونجد أبا حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ) في كتابه الإمتاع والمؤانسة يكتفي بإيراد جملة من نصوص الأحاديث دون تعليق عليها أو تحليل لبلاغتها.

وكان لابن رشيق البغدادي (ت ٤٥٥هـ) طريقته في استشهاده بالحديث النبوي في مباحثه وقواعده البلاغية دون توسع في الكلام على نصوص الأحاديث أو تحليلها إلا في نزر قليل كتعليقه على حديث: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا [١٨]وقيل: "لحكمة"، فيقول ": فقرن البيان بالسحر فصاحة منه ﷺ، وجعل من الشعر حكماً؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل، والباطل بصورة الحق؛ لرقة معناه، ولطف موقعه"[١٩]. وأما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) واضع نظرية النظم فقد استشهد بالحديث ولكن ليس بصورة قليلة وكانت له تحليلات لبعض ما أورده؛ من ذلك تعليقه على حديث المفلس قائلا: " ذاك أنه ﷺ بيَّن الحكم في الآخرة، فلما كان الإنسان إنما يُعَدُّ غنيّاً في الدنيا بماله؛ لأنه يجتلب به المسرّة ويدفع المضرّة، وكان هذا الحكم في الآخرة، للعمل الصالح، ثبتَ لا محالة أن يكون الخالي، نعوذ بالله، من ذلك، هو المفلس؛ إذ قد عَرِيَ مما لأجله يسمّى الخالي من المال في الدنيا مفلساً، وهو عدم ما يوصله إلى الخير والنعيم، ويقيه الشرَّ والعذاب"[٢٠].

وكان للزمخشري المفسر (ت ٥٣٨هـ) في كتابه الفائق في غريب الحديث تحليلاته البيانية للأحاديث التي أوردها فرد

المادة البلاغية بالشواهد والتعليقات عليها . ومن ثم كان لابن الأثير (ت٦٣٧هـ) في كتابه المثل السائر دور كبير فهو ممن تجلت عنايته من المتقدمين بالحديث النبوي في الجانب البلاغي وقد خصص فصلا في كتابه عنونه بجوامع كلمه ﷺ، ويكفينا شاهدا على عنايته وعمق معرفته قوله في أحد أقسام جوامع الكلم: "ما استخرجته ونبَّهت عليه، ولم يكن لأحد فيه قول سابق، وهو أن لنا ألفاظًا تتضمَّن من المعنى ما لا تتضمن أخواتها مما يجوز أن يستعمل مكانها" ثم يقول موضحا ذلك معلقا على حديث (بعثت في نفس الساعة)[٢١] "فقوله: "نفس الساعة" من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها؛ لأن المراد بذلك أنه بُعِثَ والساعة قريبة منه، لكن قربها منه لا يدل على ما دلَّ عليه النفس؛ وذاك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحسّ الإنسان بنفس من هو إلى جانبه"[٢٢]، ونختم دور المتقدمين بذكر جهد الشريف الرضي (ت ٤٠١هـ) وأخرناه مع تقدمه الزمني لوصفه جهدا جمع في كتاب مستقل؛ إذ يعد من أكبر أعمال المتقدمين في الكشف عن معاني الحديث وجانبه البلاغي؛ لقد وفق الشريف الرضي فاستخرج درر المعاني من أصدافِهَا وأخرج مخبأة الفكر من مكنونها، ولا يفوتنا في هذا المقام التنويه بدور شراح الحديث وفي مقدمتهم الإمام العيني (ت ٨٥٥هـ) في عمدة القاري، فقد كان لهم دور كبير في الكشف عن الجانب البلاغي في الحديث النبوي.

ثم تتابعت الدراسات المعتنية ببلاغة الحديث خاصة عند المحدثين، ومن أشهر هذه الجهود هي:

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، ووحي الرسالة لأحمد حسن الزيات، والحديث النبوي من الوجهة البلاغية لعز الدين علي السيد، وبلاغة الرسول ﷺ لعلي محمد حسن العماري، والبيان النبوي لمحمد رجب البيومي، والتصوير الفني في الحديث النبوي لمحمد بن لطفي الصباغ، وغير ذلك من الدراسات التي تتابعت.

المبحث الأول:
التقديم والتأخير في الحديث النبوي.

الأصل جواز التقديم والتأخير مراعاة لغرض ما في الخطاب؛ لكن النحاة قرروا عدم جواز ذلك في مواضع نبهوا عليها[٢٣]، وللتقديم فوائد وأغراض جرى تفصيلها في علم المعاني[٢٤].

ونجد كثيرا من هذه المعاني تتجلى في نصوص الحديث الشريف، وتظهر فيه جملة من الأغراض البيانية؛ من ذلك أن يكون الغرض هو التشويق، وذلك بتقديم ما يلفت نظر السامع مثل حديث: (أَأَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ مَالُكَ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينُك)[٢٥]، فكلمة أعدى عدو لك أثارت ذهن السامع وشوقته لسماع القطعة الثانية وهي: "مَالُكَ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينُك"، ومثل ذلك حديث: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) فقد شوقت "أحب الناس إلى الله" إلى عبارة "أحسنهم خلقا"[٢٦]، وأيضا حديث: (خير الناس أحسنهم قضاء)[٢٧] فعبارة: "خير الناس" شوقت المستمع وبذلك تتطاول النفوس رغبة في بلوغ صفة خير الناس، وتكمل عبارة: "أحسنهم قضاء" مشبعة الرغبة في بلوغ هذه المرتبة، ومثل ذلك حديث: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَه)[٢٨]، فعبارة: "خير الناس" شوقت المستمع ليسمع بعدها: "قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ..."، والمتأمل في حديث: (خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّه)[٢٩] يجد في التقديم مع المقابلة بين صورتي: "خيركم" و"شركم" صورة رائعة لتشويق المستمع وترغيبه وحثه لصورة "خيركم"، وكذلك تشويق المستمع لمعرفة صورة "شركم" للنفور من ذلك.

ومنها التخصيص كحديث (خمس صلوات..) فتقديم خمس الصلوات مع الإضافة المخصصة جاء تخصيصا لهن

بالحكم المشار إليه بعد ذكرهن، فلو: "كَانَ هُنَاكَ صَلَاة غَيْر الْخَمْس فَرَضَا لَمَا رَتَّبَ هَذَا الْجَزَاء عَلَى أَدَاء الْخَمْس"(٣٠).

إن التقديم للتخصيص واضح جلي الاستعمال في البيان النبوي، تأمل الأدعية النبوية مثلا تجد دقة التقديم لهذا الغرض إذ يقول النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ لَكَ صُمْت وَعَلَى رِزْقِك أَفْطَرْت)(٣١) فقدم "لك" على "صمت" و"على رزقك" على أفطرت: "إظْهَارًا لِلِاخْتِصَاصِ فِي الِافْتِتَاح وَإِبْدَاء لِشُكْرِ الصَّنِيع الْمُخْتَصّ بِهِ فِي الِاخْتِتَام"(٣٢).

وحديث: (اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي، فَآجِرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْ لِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا)(٣٣) فقدم "عندك" تخصيصا وحصرا أي: "لا عند غيرك فإنه لا يملك الضر والنفع إلا أنت"(٣٤).

تأمل لفظ الحديث القادم تجد التقديم يعطي بالتخصيص صورة رائعة في دلالات الحديث: (اللَّهُمَّ بِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْت)(٣٥) فالإيمان لا يُخص ولا يوجه إلا لله، والإسلام والخضوع ينبغي أن يقصر على الله، وهكذا الإنابة تكون لله خاصة دون غيره، والمؤمن يقصر المخاصمة لوجه الله والاحتكام له فله الحاكمية فقط، وهكذا أكد التقديم وخص الله بكل صور التوجه إليه، حتى يكون نهج المسلم في كل منطلقاته وأينما توجه ربانيا، بل لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان إلا بذلك، وكيف لا يكون الأمر كذلك وصاحب النطق الفصيح ﷺ يقول: (مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)(٣٦).

إن النبي ﷺ كان في استعماله أسلوب التخصيص في خطابه الشريف يعلّم أصحابه؛ ليقتدي الصحابة ﷺ ومن يأتي بعدهم بأسلوبه البليغ، ويستعمله كلما كانت الحاجة داعية إليه، يأتيه رجل فيستأذنه في الجهاد فيقول له: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟)، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَفِيهِمَا فَجَاهِد)(٣٧)، ولنتأمل أثر تقديم "فيهما" في النصيحة الموجهة للرجل، وما تشعر من قيمة الوالدين وعظيم حقهما، فقد لفت التقديم المقتضي التخصيص ذهن الطالب للجهاد إلى جهاد آخر عظيم مشعرا بمراعاة فقه الأولويات في واجبات المسلم وما عليه من الحقوق، أليس ذلك التقديم بعبارة "ففيهما" أدى وظيفته المتوخاة ودوره الرائع، يقول الحافظ ابن حجر: "قوله فيهما فجاهد أي خصصهما بجهاد النفس في رضاهما"(٣٨)، ثم لنتأمل حسن توظيف الفاء متعانقا مع التقديم في عبارة (ففيهما فجاهد) فمع تقديم شبه الجملة (فيهما)على عامله (جاهد) وفيضه الدلالي جاءت صياغة العبارة متضمنة تقديما آخر؛ فهي كأنها مركبة من شرط مقدر تقدم جوابه على جملته؛ إذ تقدير العبارة كما يقول العيني: "إن كان لك أبوان فجاهد فيهما"(٣٩)؛ إنها صورة مركبة في الحسن كأنها جمعت تقديمين وحمل حرف واحد جملة شرط وجزاء.

قال الطيبي: "قدم للاختصاص والفاء الأولى جزاء شرط محذوف والثانية جزائية؛ لتضمن الكلام معنى الشرط أي: إذا كان الأمر كما قلت فاختص المجاهدة في خدمة الوالدين نحو قوله تعالى: ﴿**فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾[العنكبوت: ٥٦]، فإياي فاعبدون أي: إذا لم يخلصوا إلى العبادة في أرض فأخلصوها في غيرها فحذف الشرط وعوض منه تقديم المفعول المفيد للاختصاص ضمنا"(٤٠).

ومن نماذج التقديم المفيد التخصيص لفظ دعاء النبي ﷺ (لك العتبى حتى ترضى)(٤١)، أي: لك الرضى فكأن النبي ﷺ يخصّ الله بالرضى فقدم "لك"، وهذا لا شك أنه نظير قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾[الروم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ**﴾[الجاثية: ٣٦].

ويتنوع التقديم للاختصاص(٤٢) فتارة يتم تقديم المفعول الذي حقه التأخير للاختصاص كحديث: (... مَا الْفَقْرَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ...)(٤٣) وتقديم المفعول على الفعل للقصر أو التخصيص، ولكن هنا التقديم في النفي،

فهو نظير ما بهذا أمرتك.

إن أمثلة التخصيص كثيرة يصعب بسطها وننهي بمثال أخير فيها تظهر براعة النبي ﷺ في توظيفه هذه الدلالة البيانية للتقديم، ففي موقف نادى منادي الرسول لتسليم الغنائم تأخر رجل في دفعها فجاء فسأله النبي ﷺ أسمعت بلالا ينادي ثلاثا؟ قال نعم، قال: فما منعك أن تجيء به؟ فاعتذر إليه، هنا خاطبه النبي ﷺ بعبارة: "كُنْ أَنْتَ تَجِيءُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَنْ أَقْبَلَهُ عَنْك"(٤٤)، فقدم "الفاعل المعنوي للتخصيص أي: أنت تجيء به لا غيرك"(٤٥).

ومن أغراض التقديم التعميم: فإذا أردت التعميم أبقيت المسند إليه على تقدمه، ومن هذه الأغراض: عموم السلب أو سلب العموم(٤٦)، ومن أمثلة عموم السلب(٤٧): حديث: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ، أَقْطَعُ)(٤٨)، فتقديم كل المقتضية العموم يؤكد بها بعض الشراح على عموم قوله ﷺ: "كل أمر ذي بال"(٤٩).

ومنها التنبيه على الخبرية حتى لا تلتبس بالصفة، واستشهد في مثل هذا من القرآن بآية: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌ**﴾[البقرة: ٣٦]، ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[البقرة: ١٧٩](٥٠)، ومن شواهد ذلك من الحديث –على حد بحثنا– قول النبي ﷺ: "لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَان"(٥١)، فجاءت عبارة: "أنتم يا أهل السفينة" كالصفة، و"لكم" قدمت بغرض التنبيه على الخبرية لئلا تلتبس بالصفة –كما يبدو– والمبتدأ "الهجرتان".

ومنها التقديم للمشكوك على المتيقن، وهو وجه بياني تجلى فيه قول الله تعالى: ﴿**أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا**﴾[الأنبياء: ٦٢] في لفتة إعجازية بتقديم السؤال عن الفاعل؛ إذ الفعل واضح التحقق، ونظير ذلك قول النبي ﷺ (أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ)(٥٢) في خطابه لورقة؛ إذ الحدث ما زال مشكوكا فيه فلذلك قدم السؤال عنه (أو مخرجي ...)، ولاشك أن وجه الشك ناشئ من كون الإخراج عظيما، فقد ذكر ورقة الإيذاء قبل ذلك كما في رواية الحديث الشريف لكن لما ذكر الإخراج سأل عنه النبي ﷺ، قال ابن حجر: "فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك لحب الوطن وإلفه فقال أو مخرجي هم قال ويؤيد ذلك إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه فأشعر بأن الاستفهام على سبيل الإنكار أو التفجع"(٥٣)، وقال العيني: "الهمزة فيه للاستفهام وإنما كان ذلك على وجه الإنكار والتفجع لذلك والتألم منه؛ لأنه استبعد إخراجه من غير سبب؛ لأنها حرم الله تعالى وبلد أبيه إسماعيل ولم يكن منه فيما مضى ولا فيما يأتي سبب يقتضي ذلك"(٥٤)، هكذا أكد قول شراح الحديث شك النبي ﷺ في الإخراج فقدمه في السؤال تماما كالآية التي أرضع لبان فصاحتها.

ومنها للعناية بالمقدم ولأهميته، ومن ذلك في دعاء النبي ﷺ لأحد أصحابه: (اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيا)(٥٥) فقدم التثبيت لأولويته وقدم الهادي على المهدي؛ إذ لأنه لا يكون هاديًا لغيره إلا بعد أن يهتدي، يقول ابن بطال: "وقوله: «هاديًا مهديًا» من باب التقديم والتأخير الذي في كلام العرب؛ لأنه لا يكون هاديًا لغيره إلا بعد أن يهتدى هو ويكون مهديًا"(٥٦)، ويمكن أن يقال قدم هاديا ليحضّه على هداية غيره؛ إذ لا يستكمل دينه على الحقيقة إلا إذا قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني:
الحذف والذكر في الحديث النبوي.

ونبدأ الحديث **بالذكر**، والذكر له جملة أغراض؛ ونجد علماء المعاني يعرضون لذكر المسند إليه أكثر من فائدة أو غرض(٥٧) كغاية التقرير والإيضاح؛ ومن شواهد ذلك حديث: (المُؤْمِنُ لاَ يَنْجُس حَيًّا وَلاَ مَيِّتًا)(٥٨) فذكر نفي النجاسة وتعين

عدم حصولها لتقرير حقيقة طهارة المؤمن على الدوام، وهذا أمر كان يشك فيه الصحابي الراوي، فعن أبي هريرة قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِرٍّ»، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَبَا هِرٍّ إِنَّ المُؤْمِنَ لاَ يَنْجُس)[٥٩]، وتأمل في تقرير النبي ﷺ لهذا الحكم المهم بصرف النظر عن اختلاف الفقهاء في دلالاته الفقهية، إذ قدمه بقوله بصيغة التعجب: "سبحان الله" بما يؤكد ما يريد تقريره من طهارة المؤمن، ولاشك أن ذلك لا ينفي وجود الحدث المتصف به الجنب، "فَكَأَنَّهُ قَالَ لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ نَجَاسَة لَكَانَتْ تِلْك النَّجَاسَة فِي أَعْضَاء الْمُؤْمِن إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ عَيْن نَجِسَة لَاصِقَة بِهِ وَالْمُؤْمِن لَا يَنْجَس بِهَذِهِ الصِّفَة فَلَا نَجَاسَة"[٦٠].

ومثل هذا الذكر المفيد للتقرير والإيضاح حديث: (الْبِرُّ لاَ يُبْلَى وَالإِثْمُ لاَ يُنْسَى وَالدَّيَّانُ لاَ يَنَامُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَان)[٦١].

وكل قطعة من الحديث السابق أفاد فيها هذا التقرير دلالته في معاني تلك الجمل، ففي: "البر لا يبلى" يتجلى ثبات أثر البر على الدوام، وفي: "الإثم لا ينسى" خطر بقاء ضرر الإثم وعدم محو هذا الأثر، وهكذا: "الديان لا يموت" بما تضفيه من محاسبة الملك الديان وقيومته على الكل وهو دائم باق عزّ عن الفناء؛ وهذا الجانب لا يلغي فائدة التقديم للفظ البر أو الإثم وهكذا ... على نحو ما تجلى لنا في مبحث التقديم؛ غاية ما في الأمر هنا إيضاح غرض الذكر.

وقد يكون الذكر للتنبيه كحديث: (أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّة)[٦٢]، والتنبيه بصعوبة الطريق واضح جلي في عبارة الحديث، فإن هذه السلعة تستلزم صبرا وقهرا للشيطان والنفس، قال الطيبي: "هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه فإن تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق"[٦٣].

وأما الذكر للمسند فكذلك له فوائد وأغراض كأغراض ذكر المسند إليه، وإذا تأملنا غرض تشويق السامع في مثل حديث: (الجنة تحت ظلال السيوف)[٦٤] فنجد تمازج ذكر المسند إليه وهو الجنة مع تقديمها فتقوى التشويق، والتشويق واضح هنا، وخاصة عند ارتباط عنصر التشويق بحدث الترغيب للجهاد كما في بعض روايات الحديث الشريف[٦٥].

يقول الحميدي مجليا صورة هذا التمثيل بما يجلي براعة التشويق: "هذا مثل والمراد به أن دخول الجنة يكون بالجهاد والظلال جمع ظل فإذا دنا الشخص من الشخص صار تحت ظل سيفه"[٦٦].

ومن نماذج التشويق بذكر المرغب به حديث (لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[٦٧]، فالحديث يرغب إلى الجهاد موظفا وسائل ترغيب متعددة، فابتدأ بلام التوكيد معبرا بكلمة الغدوة كوقت وجيز، ووقعت الغدوة مبتدأ مخصص بالصفة وهو قوله في سبيل الله، والتقدير: "لغدوة كائنة في سبيل الله"[٦٨]، وهكذا يجعل المصطفى فضل "الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها؛ لأنه زائل ونعيم الآخرة"[٦٩]، وبكل الأدوات السابقة من التوكيد والتقديم المخصص والذكر واختيار لفظ "الغدوة" تبلغ صورة التشويق منتهاها، وهذا نظيره حديث آخر مرغبا في الجنة يقول فيه النبي ﷺ: (لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الدُّنْيَا، لَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحَ الْمِسْكِ، وَلَطُيِّبَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[٧٠].

وتأتي صورة التشويق والترغيب في حديث السواك بتركيب وظف النبي ﷺ فيه اللغة لأقوى صيغ الترغيب والتحفيز للأمر المراد باستعمال صيغة لولا، تأمل قول النبي ﷺ: (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوء)[٧١]، يقول

ابن مالك في وجه من وجوه لولا: "أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو لولا زيد لأكرمتك، أي: لولا زيد موجود فأما قوله –عليه الصلاة والسلام–: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) فالتقدير لولا مخافة أن أشق على أمتي لأمرتهم: أي أمر إيجاب وإلا لانعكس معناها، إذ الممتنع المشقة والموجود الأمر"[٧٢]، وهكذا فبقي الأمر والترغيب القوي بفضل هذه الصياغة وذكرها وإن اقتضى حمل الأمر على الندبية عند بعض الفقهاء، إلا أنها ندبية اكتسبت عنصر الترغيب والتشويق القويين، فإذا تأملنا لفظة (أشق) للمسنا حسن توظيفها في هذا الترغيب والتشويق، فالمانع من التكليف بقوة للسواك هو الرفق والخوف من العنت، أي: "لولا أن أثقّل عليهم من المشَقَّة وهي الشِّدّة"[٧٣]، و" قالَ أَبُو عُبَيْد: الشَّقُّ: المَشَقَةُ والجَهْدُ والعَناءُ زاد الرّاغِبُ: والانْكِسارُ الَّذِي يَلْحَقُ النَّفْسَ والبَدَنَ"[٧٤]، ونظير الحديث المتقدم حديث: (وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّة)[٧٥]، فرفق النبي ﷺ جعله يتأخر في بعض السرايا؛ حتى لا يضطر من يأتي بعده مقتديا به ويصبح الخروج واجبا، لكن الصيغة تحمل في طياتها ترغيبا وتشويقا للجهاد بأقوى صيغ الترغيب.

ثانياً: الحذف: ويعبر الحذف عن دلالات بيانية كمثل الذكر له دلالاته ومسوغاته؛

١- فمنها طلب الإيجاز؛ فعن ابن عمر قال: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، مَا تَرَى فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ، قَالَ: (مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً، فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى)[٧٦] "فالمبتدأ محذوف تقديره صلاة الليل مثنى مثنى أي: اثنين اثنين والثاني تأكيد للأول وهو غير منصرف؛ لأن فيه العدل الحقيقي"[٧٧].

٢- وقد يكون الحذف للخوف من ذكر المحذوف أو للخوف عليه كجواب النبي ﷺ للرجل الذي سأله وأبا بكر فأجاب: من ماء[٧٨]، ولا شك أن العبارة جاءت كناية ولكن الكناية في وجازة وحذف.

٣- وقد يكون الحذف للمسند لعدم الفائدة في ذكره بل الأبلغ والأقوى في دلالته الحذف، ومنه حديث أن النبي ﷺ قال: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَن؟)[٧٩]، فالحذف هنا أعطى بعد السؤال من؟ أثرا على صورة التحذير والتنبيه بما يقوي دلالة الحديث المحذر من تقليد سنن من قبلنا؛ تقدير الكلام فمن غير اليهود والنصارى؟ يقول الدكتور فضل عباس: "هل تجد أكثر وقعا على النفس؟ وأكثر تأثيرا على الفؤاد؟ وأبلغ في كلام الناس وأجمع للفائدة، وأحصر وأوجز وأدل على التقريع من هذه الكلمة فمن؟"[٨٠].

٤- وقد يكون الحذف بسبب تقدم ما يدل عليه؛ ومن ذلك حديث (أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب..) فجرى حذف (لا كذب) بعد "أنا ابن عبد المطلب"، لدلالة ذكرها قبل [٨١].

٥- ويقع الحذف بعد إذا الفجائية كثيراً؛ ومن ذلك حديث (قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ –حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ– تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لاَ أَطْعَمَتْهَا، وَلاَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ –قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ خَشِيشِ– أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ)[٨٢].

ووقع مثل ذلك في رواية أخرى، فقد روي أن النبي ﷺ دخل حائطا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة). فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن فقال: (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّة). فإذا عمر ...[٨٣].

ومن مثل ذلك أيضا حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك ثم حدث قال صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلاَءِ الرَّكْبُ،

قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهَيْبٌ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي ...[٨٤].

وهكذا تجلى لنا في الأمثلة السابقة الحذف بعد إذا الفجائية، والمحذوف مع إذا الفجائية هو الخبر، وإذا الفجائية من مسوغات الابتداء بالنكرة؛ يقول ابن هشام "والتاسع أن تقع بعد إذا الفجائية نحو خرجت فإذا أسد أو رجل بالباب؛ إذ لا توجب العادة ألا يخلو الحال من أن يفاجئك عند خروجك أسد أو رجل"[٨٥].

وقد يقع الحذف بعد "إن" الشرطية مثل "إن خيرا أو شرا"، والمحذوف هنا جائز الحذف لكان واسمها معا؛ ومن شواهده خطاب النبي ﷺ لبعض أصحابه حين رافق صفية من المسجد إلى بيتها ليلا فقال معللا تنبيه أصحابه بأنها زوجه صفية: (إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا)[٨٦].

وقد يكون الحذف طلبا للتأدب في القول كقول عائشة: (ما رأيت منه ولا رأى مني)[٨٧] في الانكشاف بينهما هي والرسول ﷺ، فالحذف هنا ليكتفى بالإشارة اللطيفة المتأدبة عن التصريح بما حقه الستر والإخفاء.

المبحث الثالث:
التعريف والتنكير في الحديث النبوي.

أولاً: التعريف:

يتنوع التعريف فمنه التعريف بالضمير، ومن وجوهه التعريف بضمير المتكلم مثل: (أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب ...)[٨٨]، ومثله حديث: (أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ)[٨٩].

نجد في الحديثين الشريفين السابقين أمرين أفادا الحصر؛ التعريف بضمير المتكلم فيهما فهو لاشك يفيد الحصر، وكذلك ورود الخبر معرفة وهكذا المبتدأ؛ وهناك قاعدة عند النحاة وهي أن الخبر إذا كان معرفا باللام فذلك يقوي مفهوم القصر؛ ونجد تأكيد ذلك عندهم؛ إذ يذكر الرضي في شرح الكافية: أن المبتدأ إن كان ضميرا وكان الخبر معرفا باللام أفاد الحصر المفيد للتأكيد؛ إذ المبتدأ المخبر عنه إن كان معرفا بلام الجنس فهو مقصور على الخبر، "وإن لم يكن في المبتدأ لام الجنس فالخبر المعرف باللام مقصور على المبتدأ، سواء كانت اللام في الخبر للجنس نحو: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[البقرة: ١٢٩] أي: لا عزيز إلا أنت، فهو للمبالغة كقولك: أنت الرجل كل الرجل، أو للعهد، نحو: أنت الكريم، أي: أنت ذلك الكريم، لا غيرك، وسواء كان اللام موصولا، نحو: أنت القائم، أو زائدا داخلا في الموصول نحو: أنت الذي قال كذا"[٩٠]؛ وكلام الرضي في تمثيل: **﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** نص في المراد؛ فالآيات والأحاديث المتقدمة وردت ومبدؤها الضمير مخبر عنه بمعرف كالنبي والماحي والحاشر وغير ذلك؛ وعليه ففي حديث (انا النبي..) أراد النبي ﷺ أن يؤكد في مشهد حنين أنه النبي مستعملا صيغ قصر وتخصيص مختلفة من استعمال المبتدأ ضميرا والإخبار عنه بمعرفة؛ وفي ذلك من حض أصحابه على الثبات يوم حنين ما فيه؛ وكذلك في وصفه في الحديث الثاني بالماحي والحاشر وغير ذلك بما يقوي دلالة خصوصيته بهذه الأوصاف.

وهكذا يمكننا ملاحظة بعض ما ذكرناه في المتقدم في قول النبي ﷺ في خطابه للأنصار: (أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ) [٩١] فكأنه أراد أن يؤكد للأنصار أنه منهم وإليهم فوظف الضمير؛ وكذلك في حديث: (نحن مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَّثُ مَا تَرَكْنَاه فَهُوَ صَدَقَة)[٩٢]؛ فاستعمال ضمير المتكلم المشارك قوى خصوصية

تقرير النبوة وما يستلزمها بكونهم جاءوا مورثين للعلم والهداية، ولا علاقة للنبوة بمنافع الدنيا ووشائجها المتوارثة فجاء استعمال ضمير المتكلم وما يقتضيه تعريفه من دلالة مقويا لدلالات الحديث.

وهناك أمر آخر يقوي دلالة القصر يضاف لما سبق، هو استعمال الضمير في الأحاديث الشريفة المتقدمة مبتدأ؛ فمع قول شهير عند النحاة أن الضمير هو أعرف المعارف فإن استعمال المبتدأ يقوي الدلالات والمعاني المستفادة من الحصر وغيرها في هذه الأحاديث.

يقول ابن الأنباري: "واختلفوا في مراتب المعارف؛ فذهب سيبويه إلى أن أعرف المعارف الاسم المضمر أنه لا يضمر إلا وقد عرف؛ ولهذا لا يفتقر إلى أن يوصف كغيره من المعارف"(٩٣).

والتعريف بضمير المخاطب كحديث: (اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ)(٩٤).

ولا شك أن المعاني والدلالات التي أشرنا إليها والمرتبطة بالضمير من الحصر والتوكيد وتقوية المعنى حاضرة في مثل هذا الحديث الشريف، ولكن الملمح الخاص هنا أثر توظيف ضمير المخاطب في هذا الحديث الشريف وأمثاله؛ فإن صلة الداعي والدلالة على قربه من الله المدعو ناسبها استعمال ضمير المخاطب.

وهكذا في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ –وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ– فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو الْخَلْقِ ...)(٩٥) فناسب في مخاطبة الجمع لآدم استعمال ضمير المتكلم.

ومثل ذلك حسن توظيف ضمير المخاطب وضمير المتكلم في شكوى النبي ﷺ ودعائه ربه في حديث: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ... الخ)(٩٦).

أما ضمير الفصل، فقد عبّر به النبي ﷺ أحسن بيان في سياق توكيد كلامه الشريف وتوجيهه؛ فقد نَظَرَ رسول اللَّهِ ﷺ إلى القَمَرِ فقال: (يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ)(٩٧)، وعند التأمل نجد أن النبي ﷺ أحسن استعمال اسم الإشارة مع ضمير الفصل، إذ كما يقول المباركفوري، "اسم الإشارة في الحديث كوضع اليد في التعيين وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين الخبر المعرف يدل على أن المشار إليه هو القمر لا غير"(٩٨).

وفي حديث (الدعاء هو العبادة)(٩٩) قد تعددت الصيغ المقوية لبيان فضل الدعاء ومكانته، وحوى مبالغة في التوكيد والحصر فجاء ضمير الفصل متوسطا بين "الدعاء" و"العبادة"، مع ورود الخبر المعرف باللام، ووقوع التعريف قبل للمبتدأ، فالصورة جلية في إبراز أهمية الدعاء ومكانته في عبادة العابد، ومن فوائد ضمير الفصل الحصر، يقول الطيبي: "أتى بضمير الفصل والخبر المعرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء"(١٠٠).

ومن نماذج استعمال ضمير الفصل حديث (السيد هو الله)، وقصة الحديث أن بني عامر وفدوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أَنْتَ سَيِّدُنا، وذُو الطَّوْل منا، فقال: «مه مه، قولوا بقولكم، لاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَان، فإنما السيد هو الله)(١٠١)، والذي يظهر أنه أراد توجيه بني عامر لئلا يغالوا في احترامه، وأيضا عناية منه بالتواضع في مثل هذا الموقف، لذلك استعمل مؤكدات عدة للمعنى الذي أراد إفهامهم إياه، فاستعمل صيغة القصر بإنما، وعبر بضمير الفصل لمزيد تأكيد إفادة الحصر ومبالغة في تعظيم ربه وتواضع نفسه، وحول الأمر فيه إلى الحقيقة مراعاة للآداب الشرعية والطريقة فالذي "يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم هو الله –سبحانه– وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد

الإنسانية حيث قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي: لا أقول افتخارا بل تحدثا بنعمة الله وإخبارا بما أمرني الله"[١٠٢].

وحديث: (وَمَؤُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَة)[١٠٣]، فأكد النبي ﷺ عَدّ مؤونة عامله صدقة بضمير الفصل المفيد هنا التوكيد والتأبيد[١٠٤].

ومن وجوه التعريف التعريف بأل وللتعريف بها دلالات نحوية، فقد تكون للعهد الذهني أو استغراق الجنس أو الحقيقة[١٠٥]، وبعضهم يجعل الجنس قسما والاستغراق قسما آخر، ولا ريب أن الدلالة تختلف وفق نوع التوجيه لدلالة أل فيؤثر ذلك في المعاني المستفادة من الحديث الشريف، فمثلا حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِس (جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ) [١٠٦]؛ فأل في "الشيطان" يحتمل أنها للجنس، والجنسية تعطي دلالة الشيطان توسعا فيكون التحذير من جنس الشيطان وما يمثله، والتنفير من كل الشياطين، وقد تحمل على العهد الذهني وهو إبليس أو الشيطان المسلط على المصلين من مردته وأعوانه[١٠٧]؛ فيكون التحذير قوي التوجيه لشخص إبليس إمام الشر ومصدره؛ فيعطي التركيز على التنفير من شخص الشيطان إبليس أي: عينه.

ومن نماذج العهد الذهني حديث: (شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَة)[١٠٨]، وإنما سماه شراً لقوله: (يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاء) فأل التعريف في الوليمة للعهد الخارجي وكان من عادتهم مراعاة الأغنياء فيها وتخصيصهم بالدعوة وإيثارهم[١٠٩].

وقيل: يعني أن الغالب في مثل هذه الولائم ذلك فكأنه قال: طعام الوليمة التي من شأنها هذا فاللفظ وإن أطلقه فالمراد به التقييد بما ذكر عقبه، ويؤكد هذه الدلالة أمره بالوليمة وأوجب إجابة الداعي[١١٠].

وحمل أل على العهد بالصورة السابقة تحذيرا من هذا النوع من الدعوة لما فيها من التكبر على الخلق وتكوين الطبقية وإهمال الفقراء والمحتاجين الذين هم أحق الناس بالإطعام.

وحديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في الشهداء: (زَمِّلُوهُمْ فِي ثِيَابِهِم) أي: لفوهم فيها من غير غسل[١١١] والمراد بالشهداء هنا هم شهداء أحد إذا حملت أل التعريف للعهد الذهني، وإذا حملت على الجنس يعم الحكم كل شهيد قتل في المعركة؛ لأن المعنى واحد ولاشك أن لام الجنس تقتضي التعميم[١١٢].

ومن حيث أثر الدلالة فإن حملها على الذهنية يكشف عناية الرسول ﷺ بشهداء أحد ومزية تكريمهم، وأما الجنس فتعم عنايته بكل الشهداء، ومن حيث الأثر الفقهي في حكم الشهيد فيستوي التوجيهان في هذا الأثر؛ فإنها وإن جعلت ذهنية لكن العبرة بعموم اللفظ وإن ورد خاصا أو في حادثة خاصة.

وحديث أبي سعيد الخدري حين دخل على مروان بن الحكم، فقال له مروان: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ؟، قَالَ: أَبُو سَعِيدٍ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَأَبِنِ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ ثُمَّ تَنَفَّسْ) فقال الرجل: فَإِنِّي أَرَى الْقَذَاةَ فِيهِ، قَالَ: (فَأَهْرِقْهَا)[١١٣]؛ فقوله (فقال الرجل) هذا الرجل هو السائل الأول، وقد صرحت به رواية أحمد والترمذي، فتكون أل فيه للعهد الذكري[١١٤].

وحديث عبد الله بن عمر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْيَاءِ، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ»، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا[١١٥]، وواضح أن أل التعريف (من الثنية) فيها للعهد الذكري، وهذه النماذج ما أشبهها بقول الله تعالى: ﴿**فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**﴾[المزمل: ١٦]، فأل في (الرسول) للعهد الذهني الراجع لموسى –عليه الصلاة والسلام–.

إن العهد الذهني له فوائده البيانية سواء بحصر الخطاب للمخاطب أو المتكلم عنه، أو تقييد الإطلاق وتخصيص من خص بعود العهد له، وهذا كله له عنايته في خطاب البلغاء والفصحاء خاصة سيد الفصحاء.

وأما استغراق الجنس فنجد له شواهد كثيرة، ومنها حديث: (كُلُّ بَدَنَةٍ عَطِبَتْ مِنَ الْهَدْيِ فَانْحَرْهَا. ثُمَّ أَلْقِ قِلَادَتَهَا فِي دَمِهَا، ثُمَّ خَلِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ يَأْكُلُونَهَا)[١١٦]، فالأوجه في أل التعريف في "الهدي" حمله على استغراق الجنس، فالسائل وإن سأل بعبارة: "قال يا رسول الله كيف أصنع بما عطب من الهدي" وبما يفيد في سؤاله بكون أل للعهد، إلا أن الجواب جاء عاما مستغرقا كل هدي بالحكم فأخبر "عَنْ حُكْمِ سَائِرِ الْهَدَايَا لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَلِيُعَلِّمَهُمْ حُكْمَ جَمِيعِ الْهَدْيِ"[١١٧].

وفي حملها على الاستغراق هنا ملمح بياني لجواب الرسول ﷺ الجامع؛ فكان من عادته إن سئل أعطى أجوبة عمومية تنتظم كل الحالات المتصلة بحالة السائل؛ فيكون الاستغراق مقويا لهذا التعميم؛ ومن ذلك أنه لما سأله السائل عن الوضوء بماء البحر أجاب بقوله: (الطَّهورُ ماؤُهُ، الحلُّ مَيتَتُه)[١١٨].

وفي حديث: (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّات)[١١٩] فالألف واللام فيه لاستغراق الجنس وهذا توجيه يضفي على دلالات الحديث الشريف فوائد جمة، لتدخل جميع الأعمال من الصوم والصلاة والزكاة والحج والوضوء وغير ذلك مما يشترط فيه النية بل ويدخل فيه "الطلاق والعتاق؛ لأن النية إذا قارنت الكناية كانت كالصريح"[١٢٠].

وحديث: (مَنْ وَلِيَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ، وَالْمَظْلُومِ أَوْ ذِي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ، وَفَقْرِهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا)[١٢١].

فأل التعريف في "الناس" محمولة على استغراق الجنس فيدخل فيه المسلم والذمي والمعاهد[١٢٢]، وهذا يوسع دلالات الحديث الشريف، ويعطي الحديث بعدا عظيما في معانيه، ويبرز عظمة هذا الدين الذي يرعى حق الإنسان لإنسانيته وليس لانتمائه ودينه، دين يفيض رحمة وحنوا بكل البشر مسلمهم وذمييهم ومعاهدهم.

وهذا الاستغراق للناس أيضا مراد في حديث: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)[١٢٣] في لفظي "النبي" و"الناس".

فأل التعريف في النبي "للاستغراق أي: وكأن كل نبي من قبلي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس أي: إلى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب عامة أي: شاملة للعرب والعجم قال الطيبي التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع"[١٢٤].

وأما الاستغراق في الناس، فيخدم تقرير حقيقة رسالة النبي ﷺ العامة إلى الناس وأنه هاد لكل الجنس الإنساني منذ مبعثه.

وتأمل في حديث التلبية وقول ابن عمر والخير بيديك[١٢٥] ففي الاستغراق فائدة يعبر عنها صاحب المنتقى بقوله: "يَقْتَضِي أَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرِ بِيَدَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لِاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ فَكَانَ الْمُلَبِّي يُلَبِّي رَبَّهُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرِ بِيَدَيْهِ"[١٢٦].

ثانياً: التنكير.

إذا كان التعريف له فوائده البيانية فللتنكير فوائده أيضا ومنها التعميم ففي: (فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)[١٢٧] فورد لفظ رجل منكرا؛ ليعم كل من يقع عليه ذلك وليعم الحكم الفقهي الذي تقتضيه العبارة، ولربما ورد اللفظ معرفا بلام الجنس وأدى مؤدى دلالة النكرة في بعض الأحوال، وتأمل التناسب بين العموم المستفاد من تعريف الصلاة فالجنس يدل على العموم مع عموم تنكير رجل.

وعند تأمل حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:

«الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)[١٢٨]، وفي لفظ وجهاد في سبيل الله، نجد أنه حوى الحديث لفتات بيانية عدة، منها حذف المبتدأ في مواضع ثلاث وقع مسندا إليه؛ لأنه معلوم احترازا عن العبث، وتنكير الإيمان والحج.

وهذا التنكير قيل فيه للتعظيم والأصح أنه للإفراد الشخصي، ووقع في رواية تنكير الجهاد فيمكن حمله على التعظيم وهو يعطي الكمال، أو التعميم وتنوع صور الجهاد وأحواله. وعلى رواية التعريف للجهاد فيكون أيضا استغراقا لكل صور الجهاد بالمال أو بالنفس أو جهاد الهوى والنفس.

يقول العيني معددا دلالات التنكير: "لا يلزم من كون التعظيم من جملة وجوه التنكير أن يكون دائما للتعظيم بل يكون تارة للإفراد، وتارة للنوعية، وتارة للتعظيم، وتارة للتحقير، وتارة للتكثير، وتارة للتقليل، ولا يعرف الفرق ولا يميز إلا بالقرينة الدالة على واحد منها وههنا دلت القرينة أن التنكير للإفراد الشخصي"[١٢٩].

وفي حديث: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ)[١٣٠] فقد ورد لفظ "مسجد" بصيغة التنكير فيه للشيوع فيدخل فيه الكبير والصغير[١٣١]، وهذا الشيوع يمتد ليشمل حتى المشاركة في بناء المسجد ولو بالقليل.

وفي حديث أبي بكر الصديق ﷺ: أنه قال لرسول الله ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: "قُلْ: (اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيم)[١٣٢]، وجاء لفظ "مغفرة" منكرا، قال الطيبي: "دل التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يدرك كنهه ووصفه بكونه من عنده ﷻ مريدا لذلك العظم؛ لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف"[١٣٣].

وفي حديث ابن عباس: (أن النبي ﷺ قال: (أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ)[١٣٤]، عند تأمل الحديث نجد ثلاث جمل: "ملحد في الحرم" و"مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية" و"مطلب دم امرئ بغير حق" فالعبارات الثلاث تبدأ بالاسم الدال على الثبوت والاستمرار، و"التنكير للتعظيم فيكون ذلك إشارة إلى عظم الذنب)[١٣٥].

وللتنكير فائدة التفخيم مثل حديث: (... وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَه ...)[١٣٦] فجاء تنكير "مقاما محمودا"، وقال الطيبي: إنما نكر؛ لأنه أفخم وأجزل كأنه قيل مقاما أي: مقاما محمودا بكل لسان"[١٣٧].

وفي حديث: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ)[١٣٨]، يقول العيني: "أذى التنكير للتقليل لا للجنس ليصح ترتب ما فوقها وما دونها في العظم، والحقارة عليه بالفاء وهو يحتمل وجهين فوقها في العظم ودونها في الحقارة"[١٣٩].

(مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا)[١٤٠] وجاء تنكير لفظ "شيئا" للتحقير، وأعطى هذا التحقير مزيد تقليل للأمر، فاجتماع الناس جميعا على الطاعة لن يزيد في ملك الله أي شيء.

هكذا وقفنا على نماذج للتعريف أو التنكير وتنوع دلالاتهما في نصوص الأحاديث؛ وقد يجتمع في مفردات نص معين بعض لفظه منكر وبعضه معرف؛ فيكسب الحديث الشريف أبعادا دلالية؛ وذلك كثير، تأمل مثلا حديث: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَال)[١٤١].

فالمتأمل في الحديث الشريف السابق يلاحظ حسن استعمال التعريف في لفظ الصيام والتنكير في جنة؛ أما التعريف فنجده يحصر ويقصر ويحدد الصيام؛ وأل التعريف هنا يمكن حملها على العهدية أو الجنسية؛ ومع ذلك سيكون التعريف محددا لصيام معين وليس لأي إمساك أو صيام؛ ذاكم الصيام المحدد المستهدف إن تحقق سيفضي إلى حماية وجنة شاملة؛

ومن هنا جاء التنكير في جنة، فيا لروعة البيان النبوي! إن حقق الصيام وصفه المنضبط شرعيا أفضى لحماية شاملة وصحة شاملة: روحية، ونفسية، وجسدية، وأخلاقية ...، ويكتمل الجانب البياني بجانب آخر يعبر عن تلاحم صورة التشبيه بين الصيام والجُنَّةٌ [١٤٢].

المبحث الرابع:
القصر في الحديث النبوي.

للقصر طرق متعددة فمنها: القصر بإنما، ويتنوع توظيفه بيانيا في الأحاديث الشريفة الوارد فيها، ومن ذلك استعماله في الشيء الذي لا يجهله المخاطبون كحديث: (إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا)[١٤٣]؛ وفي الحصر تقوية للتحذير من أثر العمل وجزائه بما يدفع للصالحات.

وربما جمع مع الحصر دلالة التعريض كما في حديث: (إِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ)[١٤٤]، ففي الحديث التركيز على القاصية، أي: قصر الأكل على القاصية أيا كان الآكل، وفي هذا لمحة جمالية للتحذير من الفرقة والاختلاف والتشتت والإنفراد.

وفي حديث: (إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ وَاللَّهُ يُعْطِي)[١٤٥] مع القصر تعريض بالرد للمخاطب، فقد قسم النبي ﷺ بعض المغانم، فلربما توقع بعض الأنصار أن يعطوا أكثر، فقال ذلك معرضا بمن لم تعجبه القسمة، وأيضا "تطييبًا لنفوسهم، لمفاضلته في العطاء"[١٤٦]، وهكذا حديث: (إِنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَه) [١٤٧]؛ ففيه القصر والتعريض بلابس الحرير؛ إذ المؤمن لا يفعل ذلك.

ومن أكثر الشواهد شهرة على القصر بإنما حديث: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه)[١٤٨].

ويلاحظ في لفظ: "إنما الأعمال بالنيات" قصر المسند إليه على المسند و"القصر بإنما لا يكون إلا في الجزء الأخير"[١٤٩].

وقد اشتمل لفظ: "وإنما لكل إمرىء ما نوى" على نوعين من القصر: تقديم الخبر على المبتدأ المفيد للقصر، والقصر بإنما، أي: لدينا "نوعان من الحصر قصر المسند على المسند إليه إذ المراد إنما لكل امرئ ما نواه والتقديم"[١٥٠]

ويكون معنى الحديث أن الأعمال تعتبر فقط إذا كانت بنية ولا تعتبر إذا كانت بلا نية، "فتصير إنما بمعنى ما وإلا وقيل الحصر مستفاد من الجمع المحلى باللام فإنه مفيد للاستغراق وهو مستلزم للحصر؛ فالتقدير إن الأعمال تعتبر إذا كانت بنية"[١٥١]؛ فجمع الحديث– وفق إشارة الإمام القارئ المتقدمة – بين وجهين من الحصر: الحصر بإنما والحصر بالتعريف الذي يقتضي قصر الصفة على الموصوف؛ وبذلك تتقوى دلالة الحديث ومطلب قيام الأعمال على النيات وقوة ارتباطها بها لصحة توجيهها تعبدا للخالق العظيم.

هذا وقد جاء هذ الحديث بلفظين: (إنّما الأعمالُ بالنِّيَّات)، و(الأعمالُ بالنِّيَّة)، "وكلاهما يقتضي الحصرَ على الصَّحيح"[١٥٢].

ومثلاً في عبارة النبي ﷺ التي وصف بها المساجد: (إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه)[١٥٣] قصر الموصوف على الصفة، وإن كان لفظ الذكر عاما يتناول قراءة القرآن وقراءة العلم ووعظ الناس والصلاة نافلة أو فريضة، إلا أنه أخرج أعمال الدنيا من المساجد بهذا القصر.

وقد استعمل النبي أسلوب القصر في تأكيد صفة البشرية له في أكثر من موضع؛ ففي حديث السهو في الصلاة قال:

(إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني....)[١٥٤]، فالوهم والنسيان في الصلاة واقع بسبب طبع البشر المجبول على وقوع ذلك؛ لذلك أخبرهم بذلك مؤكدا الأمر بالحصر بإنما؛ وفي حديث وعظ الخصوم: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار)[١٥٥] وجاء استعمال القصر بإنما أول الحديث وآخره؛ ففي أول تأكيد صفة البشرية في تقاضيهم أمامه وفي آخره توكيد أن ما يحكم به بغير وجه حق حتى لو حكم به هو فهو كالنار التي تقطع لصاحبها؛ وكلا القصرين ينبهان إلى حقيقة أنه لو قضى النبي بشيء حسب الظاهر لأحد ما وذلك ليس حقه فذلك القضاء لا يجعله حقا؛ فعلى المتخاصمين الحذر من أخذ أي شيء ليس بحق لهما. يقول القاضي عياض: "وقوله لهما: (إنما أنا بشر): تنبيه على حالة البشرية، وأن البشر لا يعلمون في الغيب والبواطن إلا ما يطلعهم الله –سبحانه– عليه وأنه منهم، وأنه يجوز عليه في أمور الظاهر باللحون عليهم"[١٥٦].

ومن طرق القصر: القصر بما وإلا كالواقع في حديث: (وَلاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[١٥٧]؛ وجاء استعمال القصر في الحديث مؤكدا أهمية المساجد الثلاثة ومقويا ومرغبا لزيارتها؛ لكنه لا يعني منع زيارة غيرها؛ إذ استعمال القصر بالنفي والاستثناء يتضمن عدولا عن النهي إلى النفي للطيف المعنى؛ يقول العيني: "ونكتة الْعُدُول عَن النَّهْي إِلَى النَّفْي لإِظْهَار الرَّغْبَة فِي وُقُوعه أَو لحمل السَّامع على التّرْك أبلغ حمل بألطف وَجه"[١٥٨]، ولنتأمل استعمال القصر في حديثين؛ حديث مُرَغِبٍ هو: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ...)[١٥٩]؛ وحديثٍ مُحَذرٍ ومُنَبهٍ وهو: (مَا اجْتمع قوم ثمَّ تفَرقُوا عَن غير ذكر الله وَصَلَاة على النَّبِي ﷺ إلا قَامُوا عَن أنتن من جيفة)[١٦٠]؛ إننا نلمس جمال استعمال القصر في الحديثين؛ لأنه يحمل معنى التوكيد والتقوية والترغيب لمطلبي الحث أو النهي في الحديثين؛ ففي الأول: ترغيب وتوجيه لاستغلال الوقت للطاعة، والثاني: تنبيه وتحذير من تضيع الوقت في مجالس لا يذكر الله فيها أبدا، يقول المناوي معللا النهي في الحديث الثاني: "لأن مَا يجْرِي فِي ذَلِك الْمجْلس من السقطات والهفوات إذا لم يجْبر بِذكر الله يكون كجيفة تعافها النَّفس وَكَانَ ذَلِك الْمجْلس عَلَيْهِم حسرة يَوْم الْقِيَامَة)[١٦١].

ومن نماذج هذا النوع من القصر حديث: (لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكِ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)[١٦٢] وتضمن هذا القصر من جمال التفسيم صورة رائعة؛ إذ لم يبق النبي ﷺ "قسماً رابعاً لو طلب يوجد"[١٦٣]؛ أو القصر بلا وإلا ومنه قوله ﷺ: (لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)[١٦٤] فقد قصر النبي ﷺ الحسد وهو هنا بمعنى الغبطة على الصفتين اللتين ذكرهما.

ومن طرق القصر: القصر بالتقديم وهو وجه من وجه القصر، وقد سبق الكلام حول التقديم والتأخير وهناك ثم نصوص تم الحديث فيها وبيان أن التقديم فيها وقع لغاية القصر؛ ولنتأمل حديث (الْحَجُّ عَرَفَة)[١٦٥] نجد التقديم أفاد القصر فكأن الحج لا يتم إلا بعرفة؛ فقوام الحج الوقوف بها؛ ومع أن القصر مؤكد لهذه الدلالة إلا أن الحديث لمزيد البيان ورد فيه (فَمَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ لَيْلَةَ جَمْعٍ فَقَدْ تَمَّ حَجُّه)، وقد يجتمع التقديم مع طريق آخر للقصر هو القصر بالتعريف؛ خاصة إذا وقع التعريف للمبتدأ والخبر؛ ولمزيد بيان ذلك نتأمل حديث (مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُور)[١٦٦]؛ فالقصر في الحديث مستفاد من التعريف وخاصة أن القصر بالتعريف واقع في المبتدأ والخبر، وكذلك التقديم أفاد حصر المبتدأ في الخبر.

ويتضح القصر بالتعريف والتقديم أكثر في حديث (الدِّينُ النَّصِيحَة)[١٦٧]؛ علما بأن هذا الحديث من أشهر الأحاديث

التي وقع فيها القصر؛ يقول العيني معلقا على هذا الحديث بأنه "يفيد القصر والحصر؛ لأن المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين يستفاد ذلك منهما"، والقصر كذلك مستفاد من التقديم فكأن الدين قصر على النصيحة(١٦٨)؛ وهذه قاعدة جليلة أفادنا به الإمام العيني ولفتة رائعة من مكنوناته؛ وكأن دلالة الحصر تقوت من تركيبي المبتدأ والخبر معرفين معا فضلا عن القصر المستفاد من التقديم فكأن الحديث استعمل فيه أكثر من أداة للقصر.

المبحث الخامس:
الفصل والوصل في الحديث النبوي.

الوصل يراد يه الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف، وأما الفصل فيراد به عدمُ الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف فهو على حدهم: ""ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعض الجمل على بعض"(١٦٩)، ولقد ذكر البلاغيون مواضع الفصل والوصل؛ وأهمها إجمالا: مواضع الفصل:

- كمال الاتصال: ويكون باتحادِ الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً؛ لدرجة أنه يمكنك أن تُنزِّل الثانية من الأولى منزلةَ نفسها.
- كمال الانقطاع: ويكون باختلاف الجملتين اختلافاً تاماً، وهكذا بأن يختلفا خبراً وإنشاء لفظاً ومعناً، أو معنى فقط.
- شبه كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى.
- التَّوسط بين الكمالين مع قيام المانع: وهو كون الجملتين مُتناسبتين وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع.
- وأما الوصل: فباتفاق الجملتين خبرا وإنشاء أو أن بكون الفصل مخلا بالمعنى لو وقع (١٧٠)

وبتفصيل الحديث وبيانه بالشواهد الحديثية يتضح الإجمال المتقدم، ونبدأ بالفصل في الجمل وبأحوال وقوعه، وأول ذلك تحقق كمال الاتصال؛ مثل أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، ومن أمثلة ذلك حديث: (اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ)(١٧١)، وواضح إن الجمل الثلاث ذات صبغة واحدة في المعنى من السعي للجهاد في سبيل الله لذا لم يقع بينها عاطف يصل بينها مثلا؛ وكأن النبي إذ يوجه المسلمين للجهاد أخذ يترقى في خطاب الدعوة لهم؛ ليكون الجهاد لإعلاء كلمة الله منطلقا باسم الله وغايته في سبيل الله ولجهاد من كفر بالله فأراد الثلاثة المطالب الثلاثة بوصفهم مطلباً واحداً يؤكد بعضه بعضا.

ولنتأمل حديث: (لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ(١٧٢) نجد الجملة الثانية: (يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا...) كأنها بدل من الأولى فهي صورة من صور كمال الاتصال، إن الفصل هنا خدم الدلالة وفسر نوع الهجر وقوى دلالة النص المرادة من التنفير عن هذا السلوك وبيان حرمته.

ومن صور التوكيد في حديث: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون)(١٧٣) فقوله: (كُلُّهُمْ أَجْمَعُون) جاءت مفصولة ومؤكدة لـ: (آمَنَ النَّاسُ)، ومن كمال الاتصال وقوع الجملة بدلا أو عطف بيان لما قبلها، ومن صور ذلك حديث: (لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئاً على أريكَتِهِ يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه...)(١٧٤)، فالمتأمل في عبارة: (مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه) يمكن أن يعدها بدلا من الجملة (من يأتيه الأمرُ من أمري) أو عطف بيان ولذلك جاءت مفصولة؛ ولا ريب أن ذلك يخدم التوجيه المراد من الحديث في تجنب عدم طاعة أمر الرسول ﷺ أو نهيه وأن ذلك خاص به؛ والحديث الذي تقدم ذكره في موضوع القصر وهو حديث: (لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)(١٧٥) يمكن أن نعده من

نماذج جمل البدل فجملة: (رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ) بدل من: (لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ) ولذلك جاءت الجملتان مفصولتين ثم عطفت الثالثة على الثانية ووقع فيها الوصل.

إن التوكيد المعنوي له أثره الواضح في الفصل ضمن ما يعرف بكمال الاتصال؛ لنتأمل حديث: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ)[١٧٦]؛ يقول العيني مبينا أثر هذا التوكيد في الحديث: "ترك العاطف بَين الجملتين لكَمَال الِاتِّصَال بَينهمَا. فَنزلت الثَّانِيَة من الأولى منزلَة التَّأْكِيد الْمَعْنَوِيّ من متبوعه فِي إِفَادَة التَّقْرِير مَعَ اخْتِلَاف فِي اللَّفْظ"[١٧٧].

وفي حديث: (اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا)[١٧٨] نجد أن الجمل الأربع وقعت مفصولة ففصل الأوليين يتجلى فيهما التوكيد، وأما بين (لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ) و(شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا) فتظهر علاقة عطف البيان إذ وضحت وبينت الأخيرة نوع الشفاء؛ وبهذا يتضح لنا سبب الفصل في جمل هذا الحديث.

وأما كمال الانفصال باختلاف الجملتين خبرا وإنشاء فوجه مهم؛ وذلك يكون باختلافهما بين الإنشاء والخبر بصرف النظر عن تقدم أحدهما على الأخرى، ومن أمثلة ذلك قول النبي ﷺ لعمه أبي طالب: (يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ)[١٧٩]؛ فالجملة الأولى جاءت إنشائية والثانية خبرية ووردتا مفصولتين؛ وحديث: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُه ...)[١٨٠]؛ فجملته الأولى خبرية والثانية إنشائية ولذلك وردت مفصولة، وحديث: (...، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ)[١٨١]؛ فالجمل الثلاث الأولى جاءت طلبية إنشائية، وأما جملة: (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ ...) وردت مفصولة؛ لأنها خبرية.

وهكذا حديث: (اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ)[١٨٢]، فجملته الأولى طلبية إنشائية والثانية خبرية؛ ولذا وردتا مفصولتين. ومثله حديث: (خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ) [١٨٣]؛ فالجملة الأولى طلبية إنشائية والثانية خبرية فكان اختلافهما محقق كمال الانفصال المفضي للفصل بين الجملتين.

وفي كمال الانقطاع قد تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء ولا يكون بينهما رابط؛ ومن شواهد ذلك حديث: (الحَلاَلُ بيِّنٌ وَالحَرَامُ بيِّنٌ ... أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْب)[١٨٤]، وللعلامة زكريا الأنصاري توجيه رائع لهذا الحديث أحدهما: كمال الانقطاع، يقول في ذلك: "إمَّا لكمالِ الانقطاعِ، والبُعدِ بين حِمى الملوكِ، وحِمى الله تعالى، أو لكمالِ الاتحاد بينهُما؛ لأنَّه لمَّا كان لكل ملكٍ حِمى كان لله تعالى حمى؛ لأنَّه ملكُ الملوكِ، والمناسبةُ بين الأولى والثانية: أن أصلَ الاتقاءِ، والوقوعِ: ما كان بالقلب؛ لأنَّه عمادُ الأمرِ، وملاكُه"[١٨٥]، ولعله يمكننا عدّ حديث: (... قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ) فالفصل في الجمل: (وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ) و(يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ) واضح؛ ومقتضى الأمر أن حقيقة سب الرجل والديه هو غير سبه والد رجل آخر؛ فجاء الفصل ولا ريب أن الأصل انفصال القضيتين وإن كان الجامع بينهما سبب أحدهما للآخر في المعنى كصورة المشابهة للحِمى في الحديث السابق؛ مع كونه شتان بين النوعين من الحِمى، حمى الله وحمى الملوك.

ومما يقع به الفصل شبه كمال الاتصال: كمجيء الجملة جوابا عن سؤال فهم من الأولى كحديث: (قَيَّدَ الْإِيمَانُ الْفَتْكَ، لَا يَفْتُكُ مُؤْمِن)[١٨٦]، فكأنه عقب جملة: "قَيَّدَ الْإِيمَانُ الْفَتْكَ" ثار في الذهن سؤال مقتضاه وما أثر ذلك؟ أو ما علامته؟؛ فعلامته أن المؤمن لا يقع منه الفتك.

ونظير ذلك العلاقة بين الجملتين الأوليين في حديث: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدْرِ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا مَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلهِ[١٨٧]. فبعد قول النبي ﷺ: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ) كأنه حضر سؤال ما ذا تسمع؟ فيأتي الجواب أَطَّتِ السَّمَاءُ، على أن العلاقة بين جملة أطت السماء ... وما بعدها" ما فيها موضع ...؛ جاءت بيانا لما كان يرى ويسمع، فهذه تعود إلى قاعدة كمال الاتصال المتقدمة الذكر.

ولنتأمل حديث: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاس)[١٨٨] نجد أنه عقب الجملة الأولى يثار في الذهن سؤال عن العظة ما هي؟ وما ذا يريد النبي بها ؟ فيأتي الجواب بالجملة الثانية؛ لذلك وردتا مفصولتين، وعند تأمل حديث: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِر)[١٨٩] نجد الفصل في كل جملة فبين الجملتين الأولى والثانية شبه كمال الاتصال يقدر بينهما سؤال من أهل الجنة؟ وبين الجملة الثالثة والرابعة شبه كمال الاتصال يقدر بينهما سؤال من أهل النار؟ أما ورود الثالثة مفصولة لعلاقتها بما قبلها من كمال الانفصال والانقطاع وهو الاتفاق في الخبرية.

ومن نماذج شبه كمال الاتصال حديث: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْن)[١٩٠]؛ إذ يرد سؤال ما أكبر الكبائر؟ فيأتي الجواب مفصولا "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ" ثم يعطف عليه ما بعده موصولاً.

ولنتأمل الفصل في حديث: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافُهُمْ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُون)[١٩١] فإن الفصل الأول واقع بعد جملة تثير سؤالا تقديره: من الأحب والأقرب مجلسا؟ فيأتي الجواب أحاسنكم أخلاقا؛ وأما الفصل بين الجمل الأخير فيمكن أن يكون؛ لكمال الانقطاع؛ لكون الجمل متفقة خبرية، أو لكمال الاتصال فتحمل على التوكيد.

ومن مواضع الفصل: وقوع الجمل وسطا بين كمالي الاتصال والانقطاع ولكن يوجد مانع من الوصل؛ وضابط مثل هذا النوع هو عدم إمكانية الوصل؛ لأنه يؤدي إلى لبس في المعنى أو خلل فيه؛ فمثلا يقول الله في الذكر الحكيم: ﴿... **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم....**﴾[البقرة: ١٤-١٥]؛ فقد جاءت جملة: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم**﴾ مفصولة ولو وصلت لصارت كأنها من كلام المنافقين، فيفسد المعنى.

ويمكن أن نعد من نماذج ذلك مما ورد في الحديث ما روي في جوار ابْنِ الدَّغِنَة لأبي بكر وقوله للقرشيين كما روته السيدة عائشة –رضي الله عنها–: (فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَة) فجملة: (فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَة)[١٩٢] من كلام السيدة عائشة لو وصلت بواو العطف كالتي قبلها لصارت كأنها من كلام ابْنِ الدَّغِنَة، وهكذا ما ورد في حديث بيع جمل جابر وفيه: (قُلْتُ: الآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ: خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ)[١٩٣]؛ فجملة: (قَالَ: خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ) لو جاءت موصولة بما قبلها بالواو لأوهمت أنها من مقول جابر ولكنها خطاب من النبي فالفصل جَنَّبَ العبارة الوهم.

ولعله يقرب من هذا التمثيل حديث: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِه)[١٩٤]؛ فالمتأمل في الحديث يستشف أنه لو وردت عبارة: (أَسْعَدُ النَّاسِ

بِشَفَاعَتِي...) موصولة معطوفة لكانت معطوفة على معمول ظننت؛ فجاء الفصل ليجردها مستقلة تعطي دلالتها التي يحتاجها سامع الحديث ليتقرر لديه من هو السعيد.

ويتحقق الوصل حال اتفاق الجملتين خبرا وإنشاء، ومن أمثلة ما كان خبريا حديث: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ –أَوْ تَمْلَأُ– مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ) [١٩٥]، واضح وجود واو العطف التي تصل بين الجمل بما يقتضي أن كل جملة لها دلالتها المستقلة عما قبلها، وكل جملة هنا جاءت خبرية وتتضمن إفادة مستقلة عن الأخرى في الدلالة، ومثيل ذلك حديث (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[١٩٦] فكل من الجملتين خبرية مستقلة عن الأخرى وهذه الاستقلالية تقوى بها مطلب ضبط الأعمال بالنية. ومن أمثلة هذا النوع من الوصل حديث (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)[١٩٧]، وهذا الوصل بواو العطف يقتضي استقلال كل واحد وكأنه منفصل عن الآخر، قال العيني: "وفيه الفصل بين الجملتين بالواو؛ لأنه قصد التشريك وتعيين الواو لدلالتها على الجمع"[١٩٨].

وأما ما وقع من الجمل إنشاء، فمن أمثلته حديث: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[١٩٩]، وواضح أن الجمل الثلاث التي وصلت بحرف العطف كل واحدة تحمل أمرا مستقل الدلالة عن الأخرى، وأفردت بالدلالة لغاية تتمثل في التأكيد على العناية بها وكأن كل أمر أو صفة خلقية في الحديث مطلوبة ومعتنى به فلا تغني عنها الأخرى.

إن النبي الفصيح ﷺ إذ يوصل الجملتين بحرف العطف، يجيب السائل مفرقا بين الجملتين، فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، فَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، قَالَ: أَوَ لَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟، قَالَ: «لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِيَ فِي ثَمَنِهَا...)م[٢٠٠]، وفي نص هذا الحديث تنبيه رائع من النبي ﷺ هو عين ما يشير إليه علماء المعاني.

ولنتأمل الحديث الآتي، نجد تعدد الوصل وورود حروف العطف التي تصل جملة منبهة على استقلال كل عبارة بدلالتها واستقلال كل نهي بمفرده عن الآخر في آخر حديث يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: (لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا)[٢٠١].

وهكذا فإن وصل العبارات يقتضي التغاير بين الجملتين أو الكلمتين الموصولتين بواو العطف، ومن أمثلة الكلمتين حديث النبي ﷺ: "نَهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ"[٢٠٢] فالعطف يقتضي هنا التفريق بين المسكر والمفتر، ففي أحدهما معنى زائد عن الآخر، فلربما كان مفترا لا يصل إلى درجة الإسكار.

وليس الوصل بواو العطف بل حتى بغيره ومن ذلك الوصل مع واو الحال في مثل حديث: (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ...[٢٠٣].

والوصل يقع كذلك إذا تحقق كمال الانقطاع ولكن لو فصل لوقع خلل بالمعنى، أي: حصول معنى غير مراد لو وقع الفصل، ومن صور ذلك ما روي أنه: (مر رجل بأبي بكر، ومع الرجل ثوب فقال له: أتبيع الثوب؟ فقال الرجل: لا. عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله)[٢٠٤] فلو لم يقع الفصل لكانت العبارة تقتضي عكس

المعنى أي: كأنه في العبارة السابقة يدعو عليه بأن لا يعافيه الله.

خاتمة البحث.

في خاتمة هذا البحث يمكننا التأكيد على الحقائق الآتية:

- أكدت الدراسة قلة الدراسات اللغوية المعتمدة على نصوص الحديث، وهكذا الدراسات التحليلية لنص الحديث المتكئة على علوم البيان والمعاني وسائر علوم العربية.
- كشفت الورقة البحثية من خلال مبحث التقديم والتأخير في الحديث النبوي عن دلالات بيانية متعددة: كالتشويق، والترغيب، والاهتمام، والاختصاص، والقصر، والتعميم، والتنبيه على الخيرية، وتقديم المشكوك، وتعانقت هذه الدلالات مع الدلالات العامة للحديث؛ لتعطي الخطاب النبوي بعدا راقيا في الخطاب.
- أبرز مبحث الحذف والذكر في الدراسة جملة من الدلالات البيانية: كالتقرير، والإيضاح، والتنبيه، والتشويق، والترغيب، وغيرها، وتجلى من هذه الدلالات أنها أعطت إدراك الحديث الشريف فيضا من المعاني، وقوة تأثيره وأبانت عن حس بياني مرهف لصاحب الفصاحة ﷺ.
- أظهر البحث أثر استعمال كل من التعريف والتنكير في نصوص الأحاديث وأبرز تنوع الدلالات من قصر وتخصيص أو عموم وشمول، أو تقليل وتحقير أو تعظيم وتكثير وتفخيم، وأن كلا منهما يضفي وجوده على الحديث الشريف فيوض المعاني وإشراقاته.
- أبرز البحث عن حسن استعمال سيد الفصحاء ﷺ للقصر في خطابه الشريف، فأكسب الخطاب فيوض المعاني فرقت بهذا الخطاب مستوى رفيعا.
- أما مبحث الفصل والوصل، فكشف لنا عن عمق المعاني التي أفادها وجود كل منهما، وبما يتوافق مع مراعاة التراكيب اللغوية وينطلق بالدلالات والمعاني إلى خطاب جد رفيع.
- يؤكد البحث على عظمة الرسول ﷺ وحسن بيانه وأنه مورد للفصحاء قدم لهم كثيرا من المعاني والدلالات المبتكرة التي لم تعهد من قبله، ومن كان شأنه كذلك لا بد أن يعد مصدرا لغويا ورافدا علميا خصبا.
- يرى الباحث أن كل مبحث لهذه الورقة البحثية يمكن أن يكون عنوان دراسة بحثية مستقلة، وأن هذه الموضوعات تعد بكرا وميدانا خصبا يحقق الفائدة لدراسة الحديث ويثري الدراسات اللغوية في هذا الجانب.

الهوامش.

(١) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، باب التاء فصل الحاء، ١٦٤/١. وابن منظور، **لسان العرب**، مادة حدث، ١٣١/٢، ١٣٣.

(٢) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ/١٠٠٦م)، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب صلاة التطوع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، رقم (١١٩٢)، ٤٦٣/١. وأبو داود سليمان ابن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٢٥هـ/٨٣٩م)، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب صلاة التسبيح، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت)، ٣٠٢، ٤٦٨/٢، وعلق عليه الأستاذ الأرنؤوط بقوله: إسناده حسن وله شواهد يصح بها.

(٣) الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ/١٠٨٩م)، **الكشاف**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت،

(د.ت)، ٤١٩/٢.

(٤) هناك أقوال أخرى في مثل أباطيل وأحاديث. ينظر في: بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، (ط١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ١٤٢٥/٣.

(٥) القاسمي جمال الدين بن محمد(١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، قواعد التحديث، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ٦١/١.

(٦) ابن منظور محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، (د.ت)، مادة حدث، ١٣٣/٢.

(٧) **مرجع سابق**، ١٣٤/٢.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، **الأغاني**، مطبعة التقدم، القاهرة، (د.ت)، الأغاني، ١٢٠/١٠.

(٩) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، **كليات أبي البقاء**، تصحيح: عدنان درويش ومحمد المصري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (ط٢)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٢٠٢/٢.

(١٠) الطبري محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٣م)، **تفسير الطبري**، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٥٠/١٢.

(١١) شرح طلعة الشمس، المطبعة الشرقية، مطرح، سلطنة عمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، (ط٢)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢/٢.

(١٢) الكندي إبراهيم بن أحمد بن سليمان (معاصر)، **أصول الفقه والأدلة النصية**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، (ط١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٢٠.

(١٣) البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، **شعب الإيمان**، باب أنزل القرآن بلسان عربي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤١٠هـ، ح١٤١٤. والأصبهاني عبد الله بن محمد ابن جعفر ابن حيان، **العظمة**، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، (ط١)، ١٤٠٨هـ، في ذكر السحاب وصفته، ح٦٩٧.

ومعنى قواعدها: أسافلها جمع قاعدة، وبواسقها: ما علا منها وارتفع، جمع باسقة، والوميض: اللمع الخفي، وجونها: أسودها. والحيا: الغيث والخصب. ينظر: الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ/٨٣٨م)، **غريب الحديث**، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، (ط١)، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ١٠٤/٣.

(١٤) الحديث منهم من ضعفه ومنهم من عدَّه موضوعا، لكن معناه يشهد له الحديث السابق، وقد أخرج أبو نعيم في معرفة الصحابة هذا اللفظ: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأنى يأتيني اللحن). ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، (ط١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، حديث من اسمه سعد، ١٢٦١/٣ (٣١٧٤). وللوقوف على أحكام العلماء على الحديث ينظر: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **تلخيص الحبير**، د.ت، ح١٨٤٢، ٤٧١/٤.

(١٥) مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري أبو الحسين (٢٦١هـ/٨٧٥م)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت)، ٣٢ – كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، ٢٨ – باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٥)، ١٣٩٨/٣.

(١٦) البخاري الجعفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٨٧٠/٢٥٦)، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، (ط٣)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٨٥ – الفرائض، ٢٩ – باب إذا ادعت المرأة ابنا، ٢٤٨٥/٦ (٦٣٨٧).

(١٧) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١٣/٢-١٤.

(١٨) الحاكم، **المستدرك**، ذكر عمرو بن الأهتم المنقري، ٧١٠/٣ (٦٥٦٩)، وأخرجه البخاري بلفظ (إن من البيان لسحرا). ينظر: البخاري، الصحيح، ٧٠ – كتاب النكاح، ٤٨- باب الخطبة، ١٩٧٦/٥ (٤٨٥١).

(١٩) ابن رشيق أبو على الحسن القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار الجيل، (ط٥)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ١|٣٧.

(٢٠) الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ)، **أسرار البلاغة فى علم البيان**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م، ص٦٧.

(٢١) الترمذي السلمي أبو عيسى محمد بن عيسى(٢٧٩هـ/٨٨٣م): **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت)، ٣٤ – كتاب الفتن عن رسول ﷺ، باب ٣٩ ما جاء في قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة، ٤٩٦/٤(٢٢١٣). قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف.

(٢٢) ابن الأثير الكاتب نصر الله بن محمد الشيباني، الجزري (ت٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، لمكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٦٥/١.

(٢٣) ذكروا ثلاثة عشر تركيبا مما لا يجوز تقديمها مثل: "الصلة على الموصول، والمضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلا ما جاء على شريطة التفسير، والصفة وما اتصل بها على الموصوف وجميع توابع الاسم حكمها كحكم الصفة، والمضافُ إليه وما اتصل به على المضاف وما عمل فيه حرف أو اتصل به حرفٌ زائدٌ لا يقدم على الحرف وما شبه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع، فلا يقدم مرفوعه على منصوبه والفاعل لا يقدم على الفعل والأفعال التي لا تتصرف لا يقدم عليها ما بعدها والصفات المشبهة بأسماءِ الفاعلين والصفات التي لا تشبه أسماء الفاعلين لا يقدم عليها ما عملت فيه والحروف التي لها صدور الكلام لا يقدم ما بعدها على ما قبلها ..." وغيرها. ينظر في: ابن السراج –ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل البغدادي، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ٢٢٢/٢.

(٢٤) ينظر في: السكاكي يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦هـ)، السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، ص١٩٤.

(٢٥) الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب(٣٦٠هـ/٩٧١م)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ٢٩٤/٣(٣٤٤٥).

(٢٦) ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ذكر البيان بأن من حسن خلقه في الدنيا كان من أحب الناس إلى الله تعالى، ٢٣٦/٢ (٤٨٦). قال عنه الأستاذ الأرنؤوط في حاشية موضع الحديث: إسناده صحيح، على شرط مسلم غير صحابيه أسامة ابن شريك، وهو صحابي يعد من أهل الكوفة، وهو من بني ثعلبة بن يربوع، لا يعرف عنه راوٍ غير زياد بن علاقة. عيسى ابن يونس هو ابن أبي إسحاق.

(٢٧) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب البيوع، ٦٢ – بَابُ السَّلَمِ فِي الْحَيَوَانِ، رقم (٢٢٨٥)، ٣٨٧/٣ الحديث صحيح وأخرجه البخاري ضمن حديث آخره: (... فَإِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاء)، ينظر: البخاري، **الصحيح**، ٤٣ – كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُون....، بَابُ هَلْ يُعْطَى أَكْبَرَ مِنْ سِنِّهِ، رقم (٢٣٩٢)، ١١٦/٣.

(٢٨) البخاري، **الصحيح**، ٥٢ –الشهادات، ٩ – باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ٩٣٨/٢ (٢٥٠٩).

(٢٩) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ذكر البيان بأن من خير الناس من رجي خيره وأمن شره، ٢٨٥/٢ (٥٢٧)، قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣٠) السندي نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن، **حاشية السندي على النسائي**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (ط٢)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢٣٠/١.

(٣١) أبو داود، **السنن**، كتاب الصوم، ٢٢ – ت / ٢٣م، باب القول عند الإفطار، ٧١٩/١ (٢٣٥٨). عند أبي داود مرسل ولكن أخرج وذكر بعض طرق وصله ابن حجر. ينظر: أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ**،

دار العاصمة للنشر والتوزيع – دار الغيث للنشر والتوزيع، (ط١)، ٢٠٠٠م، ١٤١/٦.

(٣٢) الآبادي محمد شمس الحق العظيم (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٢)، ١٩٩٥م، ٣٤٦/٦.

(٣٣) أبو داود، **السنن**، كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَابٌ فِي الِاسْتِرْجَاعِ، ١٩١/٣(٣١١٩)، قال الألباني: صحيح.

(٣٤) المناوي محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين (١٠٣١هـ/١٦٢١م)، **فيض القدير**، ط١، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ، ٢٨٥/١. و**التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، (ط٣)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٢٨٥/١.

(٣٥) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، كتاب الصلاة، ذكر ما كان يحمد المصطفى ﷺ ربه...، ١٧٤/١١(٢٦٤٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣٦) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب النكاح، ١٧٨/٢(٢٦٩٤)، الترمذي، **سنن الترمذي**، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ..، باب ٦٧٠/٤ (٢٥٢١) وقال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه وأقره الذهبي.

(٣٧) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين، ١٠٩٤/٣ (٢٨٤٢).

(٣٨) ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، فتحقيق: **الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ١٤٠/٦.

(٣٩) العيني بدر الدين محمود بن أحمد (٨٥٥هـ/١٤٥٢م)، **عمدة القاري**، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ت)، ٣٤/٢٢.

(٤٠) الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، **الكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، (ط١)، (مكة المكرمة – الرياض)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٢٦٤٢/٨.

(٤١) الطبراني، **المعجم الكبير**، ١٧٩/٩، ح(١٦٢). والصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ/٨٢٥م)، باب القول في السفر، **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٥٦/٥ (٩٢٣٤). قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ٣٧/٦(٩٨٥١).

(٤٢) يجدر التنبيه هنا أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص هو قول جمهور البيانيين، وذهب بعض المحققين أنه قد يفيد الاهتمام وإليه ذهب سيبويه. السبكي أحمد بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧٣هـ) **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣٨٤/١. والسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٦م)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، (ط١)، (دت)، ١٥٧٩/٤.

(٤٣) أخرجه الكلاباذي في بحر الفوائد، ١٩٧/١. قال البوصيري: لَهُ شَاهِدٌ مِنَ الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ. البوصيري أحمد بن أبي بكر (ت ٨٤٠هـ)، **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، دار الوطن للنشر، الرياض، (ط١)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٤٣٥.

(٤٤) أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، ١٤٤ – ت / ١٣٤ م باب في الغلول إذا كان يسيرا يتركه ...، ٧٦/٢ (٢٧١٢). والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الجهاد، ٢/ ١٣٨. قال شعَيب الأرنؤوط: إسناده حسن وصححه الحاكم وأقره الذهبي،

(٤٥) محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود، ٧/ ٢٧٢، وقد تكون أنت من حيث المعنى كأنها فاعل ولكن من الناحية الإعرابية لفظا موقع أنت هو مؤكد للضمير.

(٤٦) عمومُ السلب إنما يقع بتقدم ألفاظ العموم مثل كلّ وجميع على أداة النفى كعبارة: "كل ظالم لا يُفلح" والمعنى: لا يفلح أحد من الظلمة، وأما سلب العموم فيكون بتقدم أداة النفي على ألفاظ العموم كعبارة: "لم يكن كلّ ذلك"، أي: لم يقع مجموعه.

والفرق بينهما أن عُموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد أي: يشمل كل الأفراد بخلاف سلب الغموم فقد يخرج بعض الأفراد عن النغي.

لمزيد من البيان ينظر: الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص١٢٤.

(٤٧) فضل عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، ص٢٢٥.

(٤٨) ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، كتاب النكاح، باب خُطْبَةِ النِّكَاحِ، ٦١٠/١(١٨٩٤)، ضعف بعضهم الحديث ولكن قال محمد فؤاد عبد الباقي معلقا على طريق ابن ماجة: قال السندي الحديث قد حسنه ابن الصلاح والنووي. وأخرجه ابن حبان في صحيحه. والحاكم في **المستدرك**.

(٤٩) محمد شمس الحق العظيم آبادي، **عون المعبود**، ١٣٠/١٣.

(٥٠) فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، دار الفرقان، الأردن، (ط٤)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٣١.

(٥١) البخاري، **صحيح البخاري**، باب الهجرة للحبشة، ١٤٠٧/٣ (٣٦٦٣).

(٥٢) خبر ورقة وكلامه للنبي ﷺ ورد ضمن خبر طويل ومنه: (ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجي هم). فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا). أخرج البخاري خبر ورقة في صحيحه، ١- باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ٢٥٦١/٦ (٦٥٨١).

(٥٣) ابن حجر، **فتحقيق: الباري**، ٣٥٩/١٢.

(٥٤) العيني، **عمدة القاري**، ٦٠/١.

(٥٥) هذا الدعاء وجه لجرير بن عبد الله البجلي فعن عن جرير ﷺ قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي. ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال: (اللهم ثبته واجعله هاديا ومهديا). البخاري، **صحيح البخاري**، باب من لا يثبت على الخيل، ١١٠٤/٣ (٢٨٧١).

(٥٦)ابن بطال علي بن خلف (ت٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، (ط٢)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ١٩٤/٥.

(٥٧) ينظر: فوائد ذكر المسند إليه. القزويني أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن، (ت ٧٣٩هـ)، **التلخيص في علوم البلاغة**، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، د.ت، ص٥٦.

(٥٨) البخاري، **صحيح البخاري بلفظ (المؤمن لا ينجس)**، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، ١٠٩/١ (٢٨١)، وأورده البخاري معلقا بلفظ (المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا).

(٥٩) ينظر: التخريج السابق.

(٦٠) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٦م)، **شرح السيوطي لسنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (ط٢)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢٠٣/١.

(٦١) عبد الرزاق، **مصنف عبد الرزاق**، باب الاغتياب والشتم، ١٧٨/١١(٢٠٢٦٢) قال الحافظ ابن حجر: مرسل ورجاله ثقات. ينظر: ابن حجر، **الفتح**، ١٥٦/٨.

(٦٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، ٦٣٣/٤(٢٤٥٠). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر، وقال الألباني: صحيح.

(٦٣) الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن**، ١١/ ٣٣٨٤.

(٦٤) البخاري، **صحيح البخاري بلفظ (المؤمن لا ينجس)**، باب الجنة تحت بارقة السيوف، ١٠٣٧/٣(٢٦٦٣).

(٦٥) ورد الحديث ضمن سبب فقد كتب عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا قال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)، أخرجه البخاري في **صحيحه**، ١٠٨٢/٣(٢٨٠٤).

(٦٦) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ/١٢٠١م)، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٢٧٠/١.

(٦٧) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد، باب الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم من الجنة، ١٠٢٨/٣ (٢٦٣٩).

(٦٨) العيني، **عمدة القاري**، ٩٢/١٤.

(٦٩) النووي محي الدين يحيى بن شرف (١٢٧٨/٦٧٦)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط٢)، ١٣٩٢هـ، ٢٦/١٣.

(٧٠) أحمد، **المسند، مسند أنس بن مالك**، ١٥٧/٣ (١٢٦٢٤)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن.

(٧١) البخاري، **صحيح البخاري**، باب ما يجوز من الوضوء، ٢٦٤٥/٦(٦٨١٣).

(٧٢) ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، (ط١)، ١٩٨٥م، ٣٥٩/١.

(٧٣) ابن الأثير الجزري أبو السعادات المبارك بن محمد (١٢١٠/٦٠٦)، **النهاية في غريب الأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد طناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١١٩٥/٢.

(٧٤) الزبيدي، **تاج العروس**، مادة شقق، ٦٤٠٣/١.

(٧٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، ٢٢/١(٣٦). والبيهقي في **شعب الإيمان**، ١٧/٤ (٤٢٣٦).

(٧٦) البخاري، **صحيح البخاري**، باب الحلق والجلوس في المسجد، ١٧٩/١(٤٦٠).

(٧٧) العيني، **عمدة القاري**، ٣٢٠/١١.

(٧٨) في تفصيل الخبر أن النبي ﷺ خرج يستطلع أخبار قريش قبيل بدر فوقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال: أو ذاك بذاك ؟ قال: نعم ! قال الشيخ فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ: نحن من ماء. ر: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير (١٣٧٢/٧٤٧)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ط٩)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٢٦٤/٣.

(٧٩) البخاري، **صحيح البخاري**، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ١٢٧٤/٣(٣٢٦٩).

(٨٠) فضل عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، ص٢٩١.

(٨١) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ١٠٥١/٣(٢٧٠٩).

(٨٢) البخاري، **صحيح البخاري**، باب ما يقول بعد التكبير، ٢٦٠/١ (٧١٢).

(٨٣) البخاري، **صحيح البخاري**، ٥٢٨ باب مناقب عمر، ١٣٥٠/٣ (٣٤٩٠).

(٨٤) البخاري، صحيح البخاري، ٥٢٨ باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه). إذا كان النوح من سنته ٤٣٢/١ (١٢٢٦).

(٨٥) ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ٦١٣/١.

(٨٦) ابن أبي عاصم، **الآحاد والمثاني**، ٤٧٤/٨ (٢٧٦٧).

(٨٧) المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، ٥٠٤/١.

(٨٨) الرضي محمد بن الحسن الأستراباذي، **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، ١٧٠/٢. وتقدم تخريج الحديث.

(٨٩) البخاري **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ١٢٩٩/٣(٣٣٣٩). ومالك بن أنس الأصبحي، **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، (ط١)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، باب أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، ١٤٦١/٥(٣٦٧٦).

(٩٠) الشريف الرضي، **شرح الكافية**، ٤٥٨/٢.

(٩١) مسلم، **صحيح مسلم**، باب فتحقيق: مكة، ١٤٠٥/٣(١٧٨٠).

(٩٢) تمام بن محمد الرازي (ت ٤١٤هـ)، **الفوائد**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٢هـ، ٧٢/٢. والربيع بن حبيب الفراهيدي البصري أبو عمرو (١٧٠هـ/٧٨٧م)، **مسند الإمام الربيع بن حبيب**، تحقيق: محمد إدريس، عاشور ابن يوسف، دار الحكمة، بيروت، (ط١)، ١٤١٥هـ، "باب (٤٦) في المواريث"، ١٣١/١ (٦٦٩).

(٩٣) الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، دار الفكر، دمشق، د.ت، ٧٠٨/٢.

(٩٤) مسلم، **صحيح مسلم**، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٧٨/٨(٧٠٦٤).

(٩٥) مسلم، **صحيح مسلم**، باب أدني أهل الجنة منزلة فيها، ١٨٠/١ (١٩٣).

(٩٦) تقدم تخريجه.

(٩٧) الترمذي، **سنن الترمذي**، باب سورة الممتحنة، ٤٥٢/٥، (٣٣٦٦). قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

(٩٨) المباركفوري أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن (١٩٣٧/١٣٥٣)، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، ضبط وتوثيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٢١٣/٩.

(٩٩) ابن حبان، **الصحيح**، ذكر البيان بأن دعاء المرء ربه في الأحوال من العبادة التي يتقرب بها إلى الله جل وعلا، ١٧٢/٣ (٨٩٠) قال الأستاذ الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

(١٠٠) الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله، **الكاشف عن حقائق السنن**، ١٧٠٨/٥.

(١٠١) أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ٤٤/٢٠ (٦٣١٣). وأبو داود، **السنن**، كتاب الْأَدَبِ، باب فِي كَرَاهِيَةِ التَّمَادُحِ، ٢٥٤/٤(٤٨٠٦) قال الألباني والأرنؤوط: صحيح.

(١٠٢) الملا علي القاري بن سلطان (ت ١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٣٠٧٤/٧.

(١٠٣) لفظ الحديث: (عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: لا يقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة)، أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب نفقة القيم للوقف، ١٠٢٠/٣ (٢٦٢٤).

(١٠٤) الملا على القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ٢٧٠/١٧.

(١٠٥) ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، (ط٢٠)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٧٨/١.

(١٠٦) مسلم، **صحيح مسلم**، باب السهو في الصلاة والسجود له، ٣٩٧/١ (٣٨٩).

(١٠٧) السالمي أبو محمد عبد الله بن حميد (١٩١٤/١٣٣٢): **شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب**، تقديم: عز الدين التنوخي، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، (د.ت)، ٤٣٦/١.

(١٠٨) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، ١٩٨٥/٥ (٤٨٨٢).

(١٠٩) السالمي، **شرح السالمي على مسند الربيع بن حبيب**، ١٢٢/٣.

(١١٠) المناوي، **فيض القدير**، ١٥٨/٤.

(١١١) أحمد، **المسند**، حديث عبد الله بن ثعلبة بن صغير ﷺ، ٥| ٤٣١ (٢٣٧٠٦). والربيع، **المسند**، "باب (١٥) في فضل الشهادة"، ٨٩/١ (٤٥٩) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(١١٢) السالمي، **شرح السالمي على مسند الربيع بن حبيب**، ٣٦٠/٣.

(١١٣) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، كتاب الْأَشْرِبَةِ، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ أَفْوَاهِ الْأَسْقِيَةِ، ١٣٦/١٢(٥٣١٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، الربيع، المسند، "باب (٦٣) أدب الطعام والشراب"، ٧٠/١ (٣٧٤).

(١١٤) السالمي، **شرح السالمي على مسند الربيع بن حبيب**، ١٣٦/٣.

(١١٥) البخاري، **صحيح البخاري**، أبواب المساجد، باب هل يقال مسجد بني فلان، ١٦٢/١ (٤١٠). ومالك، **الموطأ**، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو، ٤٦٧/٢ (١٠٠٠).

(١١٦) مالك، **الموطأ**، (باب العمل في الهدي إذا عطب أو ضل)، ٣٨٠/١ (٨٥١).

(١١٧) أبو الوليد الباجي، **المنتقى**، ٤٠٣/٢.

(١١٨) ابن حبان في **صحيحه**، كتاب الطهارة، باب المياه، ٥١/٤(١٢٤٤). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، والربيع، مسند الإمام الربيع، كتاب الطهارة، باب في أحكام المياه، ٧٢/١(١٦٠).

(١١٩) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، باب الإخلاص وأعمال السر، ١٣٣/٢(٣٨٨)، يقول شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(١٢٠) العيني، **عمدة القاري**، ٣٠/١.

(١٢١)أحمد، **المسند**، ٤٨٠/٣ (١٥٩٨٣)، قال: صحيح لغيره، وقال الهيثمي: رَوَاهُ أحمد وَأَبُو يَعْلَى. وَأَبُو السَّمَاحِ لَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ٢١٠/٥.

(١٢٢) القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ٣٦٦/١١.

(١٢٣) هذا النص ضمن حديث: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)، البخاري، **الصحيح**، كتاب التيمم، ١٢٨/١ (٣٢٨).

(١٢٤) الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله، **الكاشف عن حقائق السنن**، ٣٦٣٥/١١.

(١٢٥) اللفظ ضمن حديث (عن نافع عن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال وكان عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء إليك والعمل). مسلم، صحيحه، باب التلبية وصفتها ووقتها، ٨٤١/٢ (١١٨٤).

(١٢٦) أبو الوليد الباجي، **المنتقى**، ٢٦٤/٢.

(١٢٧) تقدم تخريج الحديث ضمن حديث: (أعطيت خمسا...).

(١٢٨) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ١٨/١(٢٦).

(١٢٩) العيني، **عمدة القاري**، ١٨٨/١.

(١٣٠) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من بنى مسجدا، ١٧٢/١(٤٣٩).

(١٣١) ابن حجر، **فتحقيق: الباري**، ٥٤٥/١.

(١٣٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، ٢٣٣١/٥(٥٩٦٧).

(١٣٣) الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله، **الكاشف عن حقائق السنن**، ٣/ ١٠٥١.

(١٣٤) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من طلب دم امرئ بغير حق، ٢٥٢٣/٦ (٦٤٨٨).

(١٣٥) ابن حجر، **فتحقيق: الباري**، ٢١٠/١٢.

(١٣٦) البخاري، **صحيح البخاري**، باب الدعاء عند النداء، ٢٢٢/١(٥٨٩).

(١٣٧) الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله، **الكاشف عن حقائق السنن**، ٣/ ٩١٣.

(١٣٨) البخاري، **صحيح البخاري**، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، ٢١٣٩/٥ (٥٣٢٤).

(١٣٩) العيني، **عمدة القاري**، ٢٤٩/٣١.

(١٤٠) البخاري، **صحيح البخاري**، باب تحريم الظلم، ١٩٤٤/٤ (٢٥٧٧).

(١٤١) النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ/٩١٦م)، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: عبد الغفار البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، في ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ فِي فَضْلِ الصَّائِمِ، ٤١٤/٧ ح(٢١٩٩)، قال الألباني: الحديث صحيح.

(١٤٢) أحمد زكريا سوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبي، دمشق، (ط١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٤٦.

(١٤٣) مسلم، **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ١٩٩٤/٤ (٢٥٧٧).

(١٤٤) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، باب ومن كتاب الإمامة والصلاة، ٣٣٠/١ (٧٦٥). وأبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب فِي التَّشْدِيدِ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، ٤١٠/١، قال النووي وقال الألباني والأرنؤوط: حديث حسن.

(١٤٥) البخاري، **صحيح البخاري**، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، ٢١٣٩/٥ (٥٣٢٤).

(١٤٦) ابن بطال، **شرح البخاري**، ١٥٥/١.

(١٤٧) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من تجمل للوفود، ٢٢٥٨/٥(٥٧٣١).

(١٤٨) البخاري، **صحيح البخاري**، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٣/١ (١).

(١٤٩) العيني، **عمدة القاري**، ٢٦/١.

(١٥٠) ابن حجر، **فتحقيق: الباري**، ١٥/١.

(١٥١) القاري، **مرقاة المفاتيح**، ٩٦/١.

(١٥٢) ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت ٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٧)، ١٤٢٢هـ، ٩/٣.

(١٥٣) جزء من حديث الأعرابي الذي بال في المسجد. أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الطَّهَارَةِ، باب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ، ٢٣٦/١.

(١٥٤) البخاري، **صحيح البخاري**، أبواب القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١٥٦/١(٣٩٢).

(١٥٥) البخاري، **صحيح البخاري**، باب موعظة الإمام للخصوم، ٢٦٢٢/٦(٦٧٤٨).

(١٥٦) القاضي عياض، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، ٢٩٠/٥.

(١٥٧) البخاري، **صحيح البخاري**، باب حج النساء، كتاب الحج، ٦٥٩/٢(١٧٦٥).

(١٥٨) العيني، **عمدة القاري**، ٢٥٢/٧.

(١٥٩) مسلم، **صحيح مسلم**، الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٠٧٤/٤(٢٦٩٩).
(١٦٠) أحمد، **المسند**، ط الرسالة، مسند أبي هريرة، ٢١/١٥(٩٠٥٢). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(١٦١) المناوي، **التيسير**، ٣٣٨/٢.
(١٦٢) ابن أبي شيبة، **المصنف**، ٨٠/٧ (٣٤٣٣٩). قال الحافظ ابن حجر: وقد ثبت في الحديث وساق الحديث. ينظر: ابن حجر، **الفتح**، ٢٠٣/٤، كتاب الحج، باب كسوة الكعبة.
(١٦٣) ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ٢١/٢.
(١٦٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، ٢٥/١(٧٣).
(١٦٥) الترمذي، **السنن**، ٢٣٧/٣(٨٨٩). قال الألباني: حسن صحيح. وابن ماجة، **السنن**، ٢١٨/٤(٣٠١٥)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(١٦٦) أبو داود، **سنن أبي داود**، ٣١ – ت / ٣١ م باب فرض الوضوء، ٦٣/١ (٦١)، وأخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور، ١/ ٨(٣). قال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب، وقال الألباني: حسن صحيح.
(١٦٧) مسلم، **صحيح مسلم**، باب بيان أن الدين النصيحة، ٧٤/١ (٥٥).
(١٦٨) العيني، **عمدة القاري**، ٣٢١/١.
(١٦٩) القزويني أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن، (ت ٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**. بيروت، دار الكتب العلمية، (غ. ت)، ص١٥١.
(١٧٠) ينظر تفصيلات ذلك في: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص٨١–١٨٨. وفضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ص٤٠٥–٤٢٨.
(١٧١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته...، ١٣٥٧/٣(١٧٣١)، باب بيان أن الدين النصيحة، ٧٤/١ (٥٥).
(١٧٢)البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب الهجرة، ٣٢٥٦/٥(٥٧٢٧).
(١٧٣) مسلم، **صحيح مسلم**، باب بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ، ١٣٧/١(١٥٧).
(١٧٤) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب السنة، باب في لزوم السُّنَّة، ١٥/٧(٤٦٠٥)، قال الأستاذ الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(١٧٥) تقدم تخريجه.
(١٧٦) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، ١٥/١(٣٠).
(١٧٧) العيني، **عمدة القاري**، ٢٠٨/١.
(١٧٨) البخاري، **صحيح البخاري**، باب رُقْيَةِ النَّبِيِّ، ١٣٢/٧(٥٧٤٣).
(١٧٩) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْإِيمَانَ، باب أَوَّلُ الْإِيمَانِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ٥٤/١(٢٤).
(١٨٠) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، باب لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، ١٢٨/٣(٢٤٤٢).
(١٨١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ إِتْيَانِ الصَّلَاةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، ٤٢١/١(٦٠٢).
(١٨٢) ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، باب مَا جَاءَ فِي الطَّعَامِ يُبْعَثُ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّت، ٥١٤/١(١٦١٠).
(١٨٣) البخاري، **صحيح البخاري**، باب حَدِيثِ الغَارِ، ١٢٨١/٣(٣٢٨٥).
(١٨٤) البخاري، **صحيح البخاري**، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ٢٠/١(٥٢).
(١٨٥) زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٩٢٦هـ)، **منحة الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي،

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، (ط١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١/ ٢٣٣.

(١٨٦) أخرجه عبد الرزاق في **مصنفه**، (باب جهاد النساء والقتل والفتك)، ٢٩٨/٥(٩٦٧٦). وأخرجه أبو داود في **سننه**، باب في الْعَدُوِّ يُؤْتَى عَلَى غِرَّةٍ، ٤٣/٣(٢٧٧١) قال الألباني: صحيح.

(١٨٧) الحاكم، **المستدرك**، كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ، ٦٠٠/٢(٣٩٤١).

(١٨٨) مسلم، **الصحيح**، بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، ٢١٢/٤(٢٦٠٦).

(١٨٩) البخاري، **الصحيح**، ٣٩٣ – باب {عتل بعد ذلك زنيم}، ١٨٧٠/٤(٤٦٣٤). "متضعِف": متواضع وبفتحها: من يستضعفه الناس ويحتقرونه، "كل عتل" أي: "جواظ مستكبر" وقيل: كل فظ غليظ والفظ: سيء الخلق، والغليظ: كبير الجثة. ينظر: زكريا الأنصاري، **منحة الباري**، ٢١٢/٨.

(١٩٠) البخاري، **صحيح البخاري**، باب من اتكأ بين يدي أصحابه، ٢٣١٤/٥ (٥٩١٨).

(١٩١) معمر بن راشد الصنعاني، **الجامع**، باب حُسْنِ الْخُلُقِ، ١٤٤/١١(٢٠١٥٣).

(١٩٢) البخاري، **صحيح البخاري**، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ٣/ ١٤١٧(٣٦٩٢).

(١٩٣) البخاري، **صحيح البخاري**، باب شراء الدواب والحمي، ٧٣٩/٢(١٩٩١).

(١٩٤) البخاري، **صحيح البخاري**، باب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ٥/ ٢٤٠٢(٦٢٠١).

(١٩٥) مسلم، **صحيح مسلم**، باب فضل الوضوء، ٢٠٣/١ (٢٢٣).

(١٩٦) تقدم تخريجه.

(١٩٧) البخاري، **صحيح البخاري**، باب أمور الإيمان، ١٢/١(٩).

(١٩٨) العيني، **عمدة القاري**، ٣٣٩/١.

(١٩٩) الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ٥٥ ما جاء في معاشرة الناس، ٣٥٥/٤(١٩٨٧)، وعقبه قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح الترمذي.

(٢٠٠) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ذكر الخصال التي إذا استعملها المرء أو بعضها كان من أهل الجنة، ٩٧/٢(٣٧٤)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢٠١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب لا يحل القتال بمكة، ١٥٦/٢(١٧٣٧).

(٢٠٢) أخرجه أبو داود في **سننه**، باب النهي عن المسكر، ٣٥٤/٢(٣٦٨٦)، وقال شعَيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قولها: ومفتِّر، لكن حسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٤٤/١٠. ونقل المناوي في "فيض القدير" ٦/ ٣٣٨ عن الحافظ العراقي أنه: صحح إسناده.

(٢٠٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، السنن، باب ٩ في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ٥٥٦/٤ (٢٣١٢).

(٢٠٤) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٧٩/١.